

ردمء: ٤٥٨٦-٢٥٢١



الأسانفة

مءلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المءوط والوشائق
تصدر عن مركز أحياء التراث التابع لءار مءطوطات العتبة العباسية المقدسة

العءء الخامس والسادس، السنة الثالثة، صفر ١٤٤١هـ/ تشرين الأول ٢٠١٩م



مركز إحياء التراث
الإبلاغ لمخطوطات العتبة العباسية المقدسة

مكتبة ودار المخطوطات العتبة العباسية المقدسة. مركز إحياء التراث.
الخزّانة : مجلة علمية نصف سنوية تُعنى بالتراث المخطوط والوثائق / تصدر عن مركز إحياء
التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.. كربلاء، العراق: العتبة العباسية المقدسة،
المكتبة ودار المخطوطات، مركز إحياء التراث، 1438 هـ = 2017-

مجلد : إيضاحيات؛ 24 سم

نصف سنوية.-السنة الثالثة، العددان الخامس والسادس (تشرين الأول 2019)-

ردمد : 4586-2521

تتضمّن ملاحق

تتضمّن إرجاعات ببلبيوجرافية.

النص باللغتين العربية والإنجليزية ومستخلصات باللغة العربية والإنجليزية.

1. المخطوطات العربية--دوريات. ألف. العنوان.

LCC: Z115.1 .A8364 2019 NO. 5-6

DDC : 011.31

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الترقيم الدولي

ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٢٤٥ لسنة ٢٠١٧م

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

يمكن الاتصال أو التواصل مع المجلة من خلال:

٠٠٩٦٤ ٧٨١٣٠٠٤٣٦٣ / ٠٠٩٦٤ ٧٦٠٢٢٠٧٠١٣

الموقع الإلكتروني: Kh.hrc.iq

الإمیل: Kh@hrc.iq

صندوق بريد: كربلاء المقدسة (٢٣٣)

المحتويات

الباب الأول: دراسات تراثية

أحمد عليّ مجيد الحلبي باحث تراثي العراق	١٧	ابن المتوَجّ البحرانيّ ونسخة كتاب (مختلف الشيعة)
الدكتور بنهشوم الغالي جامعة المولى إسماعيل المغرب	٢٩	ترتيب ديوان المتنبي لعبد العزيز الفتشاليّ (ت ١٠٣١هـ) قراءة في منهج التحقيق وفي المتوازيات النصّية.
عبدالله ابن الشيخ محمّد جعفر آل سعيد البحرانيّ البحرين	٥٧	العلامة الطريحيّ وجهوده اللغويّة في (مجمع البحرين ومطلع النيرين) دراسة معجميّة تحليليّة.
المهندس المرمّم عليّ عبد المحسن عبادة مركز ترميم المخطوطات وصيانتها العتبة العباسيّة المقدّسة العراق	١٣٣	العوامل المؤثّرة في المخطوطات وأساليب وقايتها وطرائق الحفاظ عليها.
حسين جعفر عبد الحسين الموسويّ العتبة العباسيّة المقدّسة العراق	١٦٥	مختارات من الوثائق العراقيّة الشاهدة على عمارة العتبة العباسيّة المقدّسة للمدّة من (١٣٤٢-١٣٥٦) هجري/ (١٩٢٣- ١٩٣٨) ميلادي.
الأستاذ المتمرس الدكتور صاحب أبو جناح كلية الآداب - الجامعة المستنصرية العراق	١٩٥	نشر التراث: الآفاق والمشكلات

الباب الثاني: نصوص محقّقة

تحقيق: إبراهيم السيّد صالح الشريفيّ- أحمد السيّد علويّ الشميميّ مركز الشيخ الطوسيّ للدراسات والتحقيق في النجف الأشرف- العتبة العباسيّة المقدّسة العراق	٢١١	الاثنا عشرية في فقه الصلاة. تأليف: الشيخ حسن بن زين الدّين العالميّ المعروف بـ(صاحب المعالم) (ت ١٠١١هـ)
تحقيق: ميثم السيّد مهدي الخطيب مركز إحياء التراث / العتبة العباسيّة المقدّسة العراق	٢٦٩	جواب مسألة في رؤية الهلال. تأليف: السيّد عبد القاهر ابن السيّد كاظم التوليّ البحرانيّ (ت ١٣١٠هـ).

تحقيق: محمد علي العطار دكتوراه في الطب العربي البحرين	جوامع كتاب جالينوس في الأمراض الحادثة في العين.	٢٩٥
تحقيق: رضا غلامي و علي فلاحى ليلاب إشراف: الشيخ قيس بهجت العطار إيران	حبيبة الأحاب في الضروري من الآداب. تأليف: مهذب الدين أحمد بن عبد الرضا البصري.	٣٣٥

الباب الثالث: نقد النتاج التراثي

الأستاذ المساعد الدكتور عباس هاني الجراح مديرية تربية بابل العراق	ديوان الجعبري (تحقيق: هلال ناجي ود. زهير غازي زاهد) نظرات نقدية ومستدرك.	٣٧٣
الأستاذ الدكتور عمار محمد النهار قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة دمشق سوريا	الردّ العلمي المنهجي على مقال: (قراءة في كتاب الدارس في تاريخ المدارس) للدكتور وليد محمد السراقبي.	٤١١

الباب الرابع: فهراس المخطوطات وكشافات المطبوعات

المدرس المساعد مصطفى طارق الشبلي العتبة العباسية المقدسة العراق	فهرس مخطوطات مكتبة الدكتور حسين علي محفوظ الموقوفة على خزانة العتبة العباسية المقدسة القسم الثاني.	٤٤٧
الشيخ محمد علي الحرز باحث تراثي المملكة العربية السعودية	من خزائن الكتب الأحسائية: خزانة السيّد خليفة الموسوي الأحسائي النجفي	٥٠٥
حيدر الجبوري باحث بليوغرافي متخصص العراق	دليل النصوص والإجازات المحققة في الموسوعات والكتب القسم الثاني.	٥٩٧

الباب الخامس: أخبار التراث

هيئة التحرير	من أخبار التراث	٦٤٣
--------------	-----------------	-----



البَيِّنَاتُ الْأَوَّلَى
دَرَسَاتُ تَرَاتِيمَا





العلامة الطريحي وجهوده اللغوية في
(مجمع البحرين ومطالع النيرين)
دراسة معجمية تحليلية

*Al-Turihi and his linguistic efforts in
(Majmaa Al-Bahrain wa Matlaa
Al-Nairin)
Lexical analytical Study*



عبد الله ابن الشيخ محمد جعفر آل سعيد البحراني
البحرين

*Abdullah bin Sheikh Muhammad
Jaafar Al Saeed Al-Bahrani.
Bahrain*



الملخص

ربّما لا نستطيع التعرّف على ملامح الجهود اللغويّة التي بذلها العلّامة الإمامي فخر الدّين الطّريحيّ النجفيّ (ت ١٠٨٥ هـ) في كتابه (مجمع البحرين ومطلع النيّرين) إلّا بعد أن ندرس هذا المعجم -الذي يعتمد على أحاديث الشيعة في مادّته- دراسةً معجميّة تربطه بكتب الغريب والمعاجم العربيّة، وعلى هذا الأساس بحثت هذه الدراسة محاور ثلاثة: أوّلها شخصيّة العلّامة الطريحيّ اللغويّة والعلميّة، وثانيها قدّمت لمحةً عن كتب الغريب (غريب القرآن والحديث) ومناهجها وتاريخها وعلاقتها بكتب المعاجم العربيّة، وثالثها بحثت كتاب (مجمع البحرين) بدءاً من اسمه ومقدّمته وغاية تأليفه ومصادره، ثمّ منهجه واللامح المعجميّة فيه، وصولاً إلى الملاحظات والمآخذ التي أخذها النقاد عليه، وقد انتهجت الدراسة في ذلك المنهج الوصفيّ واستعانّت بالمنهج التاريخيّ، كما اعتمدت على جهود الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه (البحث اللغويّ).

Abstract

Perhaps we cannot recognize the features of the linguistic efforts of Fakhr aldin Al-Turaihi Al-Najafi died in (1085 A.H) in his book (Majmaa Al-Bahrain wa Matlaa Al-Nairin) unless we study this volume – which depends on Shia Hadiths- a lexical study linking it with Al-Qareeb books and Arabic dictionaries.

On this basis, the study examined three aspects: First of all, the linguistic and scientific character of Al-Turaihi. Second I presented a brief about Al-Qareeb books (Al-Qareeb in Qur'an and Hadith) and their curricula and history and its relation to the books of the Arabic dictionaries. And the third one examined the book (Majmaa Al-Bahrain) starting with its name , introduction and the purpose of writing it and its references , then, its methodology and lexical features in it, all the way to the notes taken into account by the critics .

The study adopted the descriptive method and used the historical method, and relied on the efforts of Prof. Dr. Mahmood Fahmy Hijazi in his book (The Linguistic Research).

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله
الطاهرين وأصحابه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

لا أجد أن الباحث بحاجة إلى تذكير بأهمية الدراسات المعجمية لتراثنا الثري، إذ لا يزال هذا النوع من الدراسات ميداناً خصباً للبحث والدراسة، ويكفي في أهميتها أن تكون المرآة التي تمكّننا من أن نتعرف على وجوه التعاطي مع اللفظ ودلالاته، وكيف أن المعجميين ولّدوا من اللفظ الواحد العديد من الدلالات؛ بل أصل بعضهم ما يُسمّى بالحقول الدلالية، تلك هي لعبة اللفظ ومآلات المعنى التي يُتيحها نظام اللغة؛ ذلك النظام العقلي الصارم بحسب نظرة اللسانيين في يومنا هذا.

يكفي في أهمية الدراسات المعجمية أن تعرّفنا كيفية التعاطي مع اللفظ ومآلات معناه؛ ذلك لكونها تدرس المفردات ومعانيها في اللغة من حيث اهتمامها بالاشتقاق والأبنية، ودلالات الأبنية المعنوية والإعرابية، فضلاً عن التعابير الاصطلاحية والمترادفات وتعدّد المعاني^(١) وفقاً لتعدّد السياقات المولودة فيها تلك المعاني، ويقودنا هذا إلى تصوير المفهوم من الدراسة المعجمية [lexicology]، وهي الدراسة التي تدرس دلالة المصطلح المعجمي دراسةً تعاقبيةً لتسجّل أهمّ الإضافات الدلالية، وإن كان اهتمام الدراسة المعجمية بهذا الجانب فإنّ الصناعة المعجمية [Lexicography] تهتمّ بتنوع المداخل وترتيبها وفقاً لنظام معيّن، وعلى ضوء ذلك تُرتّب الموادّ، وتُجمع المعلومات والمداخل إلى أن يكون المعجم كاملاً بمقدّمة وخاتمة، ولا يقوم معجم دون الرجوع إلى هذين الأساسين، أعني: الدراسة المعجمية [lexicology] التي تُعنى بالبنية الدلالية للفظ، والصناعة المعجمية [Lexicography] التي تهتمّ بتنوع المعاجم وطرائق إعدادها وتكويناتها^(٢).

(١) ينظر الدراسة المعجمية، الأسس والتقاطعات: مكوّن نور الدين، مقال نُشر على شبكة الألوكة الثقافية.

(٢) ينظر البحث اللغوي: محمود فهمي حجازي: ٤٧.

ومن هنا جعلنا غرض هذه الدراسة التعرف على الجهد المعجمي المبذول في كتاب من أهم الكتب المعنوية بألفاظ السنة المحكية - أي: ما حُكي من قول المعصوم أو فعله أو تقريره - بوصفها المكوّن المهمّ لدائرة المعارف الإسلامية من العقيدة حتى الأخلاق، مروراً بالفقه الإسلامي.

وفي محيطه الرّوائى اعتنى فخر الدّين الطّريحيّ بهذا الكتاب الذي سمّاه (مجمع البحرين ومطلع النيرين) ليكون معجماً يشرح المداخل بصورة لغوية فيها من التوسّع ما فيها، معتمداً في ذلك على مجموعتين من المصادر؛ أولها المصادر المعجمية لا سيّما الصحاح للجوهري، وثانيها كتب غريب الحديث والأثر لا سيّما المصباح المنير للفيومي.

الدراسات السابقة :

وفي رأي الباحث أنّ هذا الكتاب - على الرغم من ذيوعه في الوسط العقديّ لصاحبه - لم يُعنَ بالكثير من الدراسات العلميّة المعجميّة؛ بل لا تتجاوز الأبحاث المعقودة حوله أصابع اليد قلّة، فإنّ كاتب هذه السطور وجد في حدود بحثه وسؤاله ثلاث دراساتٍ غير التي عُقدت في مقدّمة التحقيق لكتاب مجمع البحرين، وهي كالآتي:

الأولى: دراسة إحصائية بعنوان: (الموادّ اللغوية في مجمع البحرين ومطلع النيرين للشيخ فخر الدين الطريحيّ (٩٧٩ - ١٠٨٥هـ) نُشرت بهمة الأستاذ محمّد سعيد الطريحيّ في العدد الأول من (مجلة الموسم) المعنوية بالآثار والتراث، سنة ١٩٨٩م، وهي أقدم ما وجدنا من دراساتٍ علميّة أكاديميّة عُيّنت بمجمع البحرين، وقُدّمت الدراسة بموجز حياة الشيخ الطريحيّ، وتحدّثت عن كتابه وأهمّيته وبيان مخطوطاته قبل أن تشرع بذكر الموادّ اللغوية للكتاب، ولم تُصَف غير هذا، ولم يُشر إلى كاتبها.

الثانية: دراسة وصفية بعنوان: (قراءة معجمية في كتاب مجمع البحرين ومطلع النيرين للشيخ فخر الدين الطريحيّ (ت١٠٨٥هـ)، كُتبت بالاشتراك بين

خالد نعيم شناوة، والأستاذ شهيد راضي حسين، ونُشرت في العدد الثاني من مجلة (دراسات إسلامية معاصرة) التابعة لجامعة كربلاء، سنة ٢٠١٠م، وقد عُنت بوصف مجمع البحرين ومنهج مؤلفه وطريقته في عرض المادّة المعجميّة، وموارده التي اعتمد عليها في المجمع، وعرضت لشيءٍ من المباحث اللغويّة التي تعرّض لها الشيخ الطريحيّ في المجمع؛ منها المباحث الصرفيّة والنحويّة والبلاغيّة، وشيء من لغات العرب، ويُحمد لهذه الدراسة أنها قدّمت قراءةً معجميّةً موجزةً لمجمع البحرين؛ وبصّرت القارئ بمزايا (مجمع البحرين)، غير أنّها لم تحلّل الموادّ المعجميّة كما ينبغي، ولم تتعرّض للملاحظات والمآخذ التي لوحظت على (مجمع البحرين).

الثالثة: دراسة تحليليّة بعنوان: (صناعة المعجم العربيّ بين المنهج والمستعمل من الألفاظ، قراءة في مجمع البحرين لفخر الدين الطريحيّ (ت١٠٨٥هـ)، كتبها الأستاذ الدكتور خالد نعيم شناويّ، ونشرها في مجلة كليّة الآداب بجامعة البصرة، العدد (٦٩) لسنة ٢٠١٤م، ومن وجهة نظري أنّ هذه الدراسة من أهمّ الدراسات التي عُنت بالمجمع؛ إذ قاربت بين مجمع البحرين ومدرسة الصحاح المعجميّة مقارنةً دقيقة، وبيّنت ما أهمله الطريحيّ من موادّ، وما أثبتته غيره من أرباب هذه المدرسة التي على رأسها الجوهريّ، محلّلةً الموادّ المهملة عند الطريحيّ وعند غيره، وعرضت لمنهج الطريحيّ في مجمع البحرين وموارده التي استقى منها موادّه اللغويّة، واستنتجت -من المادّة اللغويّة في مجمع البحرين- أنّ الطريحيّ عني باستعمال اللفظة وصحّتها؛ تلك الميزة التي سادت مدرسة الصحاح، وبعد المقارنة والاستنتاج عرضت للمادّة اللغويّة وطريقة عرضها في المجمع، وصولاً إلى تراكميّة المادّة اللغويّة بالنظر إلى المعاجم السابقة، ليختم الباحث الدراسة بالدعوة إلى معجمٍ لغويّ الاستعمال تُستبعد فيه الألفاظ المهملة المتكلّفة، مستعينين بالفهم الصحيح من القرآن والحديث ولغة العرب.

تلك هي الدراسات التي عثرنا عليها في حدود البحث، ومن خلال دراستنا هذه التي نرجو منها أن تدرس (مجمع البحرين) بوصفه معجمًا يهتمُّ بغريب القرآن والحديث؛ إضافة إلى كونه معجمًا على منهج مدرسة الصحاح المعجمية.

ومن المهم أن تبدأ هذه الدراسة بمبحثٍ موجزٍ يعرف لنا الشيخ الطريحي (ت ١٠٨٥هـ) مرَّرين على الجانب اللغوي والأدبي من حياته، وفي المبحث الثاني نتحدث عن كتب الغريب وأثرها في المعجم العربي، مارِّين بشيءٍ من تاريخ كتب الغريب ومناهج مؤلفيها، ونبسِّط الحديث في المبحث الثالث عن الكتاب موضوع الدراسة، متحدثين عن اسم الكتاب وهدف المؤلف منه، واصفين المقدمة ومحتوى الكتاب، وسنحلل في هذا المبحث نماذج مختارة من مواده، وسندرس بعض الظواهر المعجمية في هذا الكتاب، مسجِّلين بعض الملاحظات والمآخذ، ثمَّ بعد ذلك نختم الدراسة كلُّها بالنتائج.

وسنطبِّق في هذه الدراسة المنهج الوصفي والتاريخي، معتمدين في الوصف على كتاب أستاذنا اللغوي الكبير الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه (البحث اللغوي)، أما في الجانب التاريخي فسنفيد كثيرًا من إلماعات الأستاذ الدكتور حسين نصار (ت ٢٠٠٧م) في كتابه (المعجم العربي: نشأته وتطوره).

المبحث الأول: فخر الدين الطريحيّ الفقيه اللغويّ

يعدُّ الشيخ فخر الدين الطريحيّ من أبرز علماء الإماميّة في القرن الحادي عشر الهجريّ، وقد ساد صيته في المراثي الحسينيّة في كتابه (المنتخب) الذي ضمّنه أشعاره، فهو راوٍ للأخبار التاريخيّة، ومحدّث، وفقهه، وفي المرتبة الأولى لُغويّ عُرِفَ بجهوده اللغويّة، وهذا ما يهَمُّنا بحثه وتبيانه، وفيما يأتي موجز عن سيرته:

اسمه ونسبه^(١):

هو الشيخ فخرُ الدّين^(٢) بن محمد عليّ^(٣) بن أحمد بن طَريح - بضمّ الأوّل وفتح ما بعده - الرّمّاحيّ، النجفيّ، المعروف بالطَريحيّ - بالتصغير - نسبةً إلى جدّه الأعلى (طريح)، وينتهي نسبه إلى حبيب بن مظاهر الأسديّ.

والرّمّاحيّ نسبةً إلى بلدة (الرّمّاحيّة) الواقعة بجانب نهر الفرات بالقرب من النجف الأشرف، وفيها أقام الشيخ الطريحيّ، واندردت سنة ١١١٢ هـ بعد أن طغى عليها ماء الفرات، وهجرها أهلها وقد عُثِرَ في جامعها على آثارٍ للشيخ فخر الدين الطريحيّ على ما ذكر بعض الباحثين^(٤).

(١) لترجمة وافية ينظر: (أمل الآمل: الحرّ العامليّ: ٢ / ٥٩، رقم ٦٤٨)، و(رياض العلماء: الميرزا عبد الله الأفندي: ١ / ١٣٧)، و(لؤلؤة البحرين: الشيخ يوسف البحرانيّ: ٦٦، رقم ٢١)، و(الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمّيّ: ٢ / ٤٤٨)، و (أعيان الشيعة: السيّد محسن الأمين: ٤ / ٦٢٠)، و(الأعلام: الزركليّ: ٥ / ١٣٨)، و(معجم المؤلّفين: عمر رضا كحالة: ٣ / ١٩١)، و(معجم رجال الحديث: السيّد الخوئيّ: ٤ / ٢٦٣، رقم ٢٦٤٤)، و(موسوعة طبقات الفقهاء: جعفر السبحانيّ: ١١ / ٦٥، رقم ٣٣٥٣)، وغيرها.

(٢) وقيل: إنّ اسمه طَريح، وهذا أمر لم نجدّه في أكثر المصادر، وما وجدناه في أكثرها أثبتناه.

(٣) وهو اسم مرّكّب لشخصيّة واحدة؛ لا شخصيّتان كما تُوهّم في (أمل الآمل) و(رياض العلماء)، ونبّه عليه الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ في (الروضة النضرة)، ينظر مقدمة تحقيق مجمع البحرين: مؤسّسة البعثة: ١١ / ١.

(٤) ينظر مقدّمة تحقيق مجمع البحرين: السيّد أحمد الحسينيّ: ٧ / ١.

ولادته ووفاته :

وُلد الشيخ الطريحيّ في النجف الأشرف سنة (٩٧٩هـ)، وتوفيّ سنة (١٠٨٥هـ) على المشهور، وذكر الشيخ المؤرّخ آغا بزرك الطهرانيّ أنّه توفيّ سنة (١٠٨١هـ)، ومادّة تأريخ وفاته: (يطوف عليهم ولدان مخلّدون) = ١٠٨١هـ^(١)، غير أنّه في (مصفّى المقال) ذكر ما عليه المشهور^(٢)، ورجّح محقّق الكتاب السيّد أحمد الحسينيّ أنّ وفاته سنة: (١٠٨٧هـ)، وعزا رأي المشهور إلى اشتباه الشيخ حسن البلاغيّ في (تنقيح المقال)، وسرى ذلك الاشتباه إلى أرباب المعاجم^(٣).

أساتذته وتلامذته :

تتلمذ الطريحيّ على كثيرٍ من العلماء وأهل الفضل، وإن قيل: إنّ لكلّ طالبٍ معلّمه الأوّل، قلنا: إنّ المعلّم الأوّل للشيخ الطريحيّ هو والده، الذي غدّاه في أكثر دروسه بألوان المعارف الإسلاميّة والأدبيّة؛ فقد كانت أكثر دراسته على يد والده الشيخ محمّد عليّ الطريحيّ، وتتلّمذ أيضًا على عمّه الشيخ محمّد حسين الطريحيّ، وأخذ إجازة الرواية عنه، وإن رجعنا إلى شخصيّة الطريحيّ - بوصفه (محدّثًا) - عرفنا أنّه روى عن كبار العلماء عن طريق أستاذه في الحديث الشريف، وهو عمّه المشار إليه، والشيخ محمّد بن جابر بن عبّاس النجفيّ، والسيّد الأمين شرف الدين عليّ الشولستانيّ، والشيخ محمود بن حسام الجزائريّ، هذا حاصل ما ذكره المترجمون عن أساتذته وشيوخه^(٤).

أمّا تلامذته والراوون عنه، فهم كثيرٌ؛ نظرًا لمكانته العلميّة التي سنحدّثك عنها بعد، منهم: المولى محمّد باقر بن محمّد تقيّ المجلسيّ (ت ١١١١هـ) صاحب أكبر موسوعةٍ للشيعة الإماميّة وهي (بحار الأنوار)، والسيّد هاشم بن سليمان التوبلانيّ

(١) ينظر طبقات أعلام الشيعة: آغا بزرك الطهرانيّ: ٤٣٤ / ٨.

(٢) ينظر مصفّى المقال في أحوال الرجال: آغا بزرك الطهرانيّ: ٣٥٠.

(٣) ينظر مقدّمة تحقيق مجمع البحرين: السيّد أحمد الحسينيّ: ١٣.

(٤) ينظر: (روضات الجنّات: الخوانساريّ: ٣٥٠/٥)، و(ماضي النجف وحاضرها: جعفر آل محبوبه: ٤٥٥ / ٢).

البحراني (ت ١١٠٧هـ) صاحب التفسير الشهير (البرهان في تفسير القرآن)، والشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ) صاحب أهمّ موسوعةٍ حديثيةٍ عند الإمامية (وسائل الشيعة)، وولده الشيخ صفّي الدين الطريحيّ (كان حيّاً سنة ١١٠٠هـ)، وابن أخيه الشيخ حسام الدين بن جمال الدين الطريحيّ (ت ١٠٩٥هـ)، وغيرهم من الأعلام.^(١)

مكانته العلميّة :

لا يمكننا الإحاطة بالمنزلة العلميّة التي بلغها الشيخ الطريحيّ إلا بطريقتين: الأوّل الرجوع إلى تركته العلميّة وغربلتها وتمحيصها؛ لمعرفة درجته العلميّة بشكلٍ أقرب إلى الواقع العلميّ، وهذا يحتاج إلى جهدٍ واتّساع زمن، ولذا استعضنا عن ذلك بالطريق الثاني: وهو التعويل على ما ذكره العلماء في شأنه؛ لأنّ العالم بالطبع سيحكم على هذه الشخصية أو تلك بقراءة مؤلّفاتها، فيكون حكمه (حكماً محصّلاً) - أعني بذلك: حكماً جاء عن الطريق الأوّل الذي بيّناه - أو أنّ يكون (حكماً منقولاً)؛ أي: نقله عن مَنْ حصلّ الطريق الأوّل، وسيكون الأمران دالّين على شخصية المحكوم عليه ومكانته؛ إذ لا يُعقل أنّ يتّفق جُلُّ العلماء على المكانة الرفيعة لشخصيّة ما، ولا يكون ذلك الاتفاق على درجةٍ من الموضوعيّة!

ومن هذا المنطلق نشير إلى آراء أربعةٍ من العلماء مختلفين زماناً، لتنفّح أوصافهم لشخصيّة الشيخ الطريحيّ:

١. تلميذه الشيخ الحرّ العامليّ (ت ١١٠٤هـ)، إذ وصفه في (أمل الآمل) بأنّه: «فاضل، زاهد، ورع، عابد، فقيه، شاعر، جليل القدر»^(٢).

وفي هذا الوصف جمعٌ بين المعطى العلميّ والمعطى الأدبيّ والمعطى العباديّ، فهو فقيه وجيل القدر، وزاهد وورع وعابد، وشاعر.

(١) ينظر: (روضات الجنات: ٥ / ٣٥٣)، و(ماضي النجف وحاضرها: ٤٥٥/٢)، و(مقدمة تحقيق مجمع البحرين: السيّد أحمد الحسيني: ٧ / ١).

(٢) أمل الآمل: ٢١٥.

٢. الميرزا الشيخ عبد الله الأفندي (ت ١١٣٠هـ)، وصفه في كتابه (رياض العلماء) بقوله: «وكان (رضي الله عنه) أعبد أهل زمانه، وأورعهم، ومن تقواه أنه ما كان يلبس الثياب التي خيبت بالإبريسم، وكان يخيظ ثيابه بالقطن»^(١).

واللافت للنظر أن الأفندي لم يذكر لنا في وصفه المعطى الأدبي (بمفهومه العام) في ذكره أوصاف الطريحي، واكتفى بوصف المعطى العبادي له؛ من لزومه الورع والتقوى والعبادة، كما تدل عليه (أعبد)، وضرب لنا مثلاً لتقواه وورعه عن ملذات الحياة؛ إذ إنه ما كان يلبس الثياب الفاخرة المخاطة بالحرير؛ وذلك يعطي إشارة إلى أن هذا اللباس الفاخر كان سهل المنال لدى الشيخ الطريحي، كأن تأتيه هذه الثياب من الصلات والهدايا أو يكون موسراً، غير أنه لم يلبسه وزهد فيه؛ مواساةً للفقراء وإعراضاً عن الملذات.

٣. الشيخ حسن البلاغي النجفي (كان حياً ١١٠٥هـ)، إذ قال في كتابه (تنقيح المقال): «كان أديباً، فقيهاً، محدثاً، عظيم الشأن، جليل القدر، رفيع المنزلة، أورع أهل زمانه، وأعبدهم، وأتقاهم»^(٢).

ويشكّل هذا الوصف الخلاصة التي قرأها الشيخ البلاغي لشخصية الطريحي؛ فعلى الصعيد العلمي كان من الفقهاء ورواة الحديث (فقيهاً، محدثاً)، وعلى الصعيد الأدبي فإنه العالم الشاعر اللغوي، الذي يمسك زمام اللغة ويحيط بمفرداتها، ويستعملها أحسن استعمال، محققاً مختلف الأغراض البلاغية (أديباً)، وعلى الصعيد العبادي فلا اختلاف بين المترجمين في كونه تقياً عابداً ورعاً؛ بل لا يختلف أهل زمانه في ورعه وتقواه، مما أهله لأن يكون (أورع أهل زمانه)؛ وكل تلك الصفات العبادية تؤهل الفقيه لأن يكون معتمداً الناس في الأخذ بأحكام الدين، ومعتمداً العلماء في الأخذ بأرائه ونتائجه.

٤. الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ)، حيث قال في (لؤلؤة البحرين): «كان هذا

(١) رياض العلماء: ٣٣٣/٤.

(٢) نقلاً عن روضات الجنات: ٣٥٢ / ٥.

الشيخ فاضلاً، لُغَوِيًّا، عابِداً، زاهِداً، ورِعاً»^(١).

وفي وصف الشيخ يوسف له بأنّه (لغويّ) دلالة على تخصّصه وطول باعه في اللغة، غير أنّه أهمل كونه شاعراً كما ذكر الحرّ العامليّ، فجعل مكانة الشيخ الطريحيّ الأدبيّة مجملّةً، ولم يغفل الشيخ يوسف جانب النقد العلميّ في ترجمته للشيخ الطريحيّ؛ حيث قال: «ومن مصنّفاته كتاب (مجمع البحرين) في تفسير غريب القرآن والأحاديث التي من طرقنا، إلّا أنّه لم يُحط بها تمام الإحاطة كما لا يخفى على من تتبّع»^(٢)، وهنا يظهر لنا الشيخ يوسف في صورة العالم الموضوعيّ الذي يهتمُّ بجوانب النقد العلميّ في آثار الشخصية التي يترجم لها.

ويكفيك في يوم الناس هذا أن ترى الثناء الكبير على شخصية الطريحيّ من قبل علماء الإماميّة، فكثيراً ما يذكرونه بلفظ (العلامة)، فيقولون: العلامة الطريحيّ؛ إشارةً إلى المنزلة العلميّة التي تسنّمها، والمنزلة العباديّة التي حصّلها، وقد قيل: الوجدان أدلّ دليل. وتدلّنا الإشارات التاريخيّة إلى أنّ احترام الشيخ ومودّته لم تكن من قبل الطائفة الإماميّة فقط؛ بل كان المخالفون له في العقيدة والمذهب من أبناء الإسلام يحترمونه ويودّونه، «وكان يوم وفاته يوماً لم يرَ أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه، وكثرة البكاء من المخالف والمؤالف»^(٣)، تلك الصورة الجميلة التي شوّهتها معالم الجهل في حاضرنا المريض.

أسرة العلامة الطريحيّ ودورها في اللغة والأدب:

عُرِفَت أسرة الطريحيّ بالعلم والأدب، فقد كان لأعلام الأسرة جهودٌ علميّةٌ وأدبيّةٌ أودعوها المكتبة العربيّة، وقد توارث الأبناء عن الآباء تلك المحبّة والتداول للعلم والأدب، فقد عُدَّت هذه الأسرة بحقّ من الأسر النجفيّة الغنيّة بالعلم والأدب، فقد

(١) لؤلؤة البحرين: ٦٦.

(٢) لؤلؤة البحرين: ٦٧.

(٣) خاتمة المستدرک: الميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ: ٧٥ / ٢.

حفلت هذه الأسرة بالكثير من الأدباء والعلماء، فكان لهم منتدى أدبي يرتاده الأدباء والعلماء، وكانت لهذا المنتدى أصداءً محليةً واسعةً، وأثارٌ علمية نافعة، فمن لازم تلك النوادي خرج بفوائدٍ علميةٍ مهمّة.

ومما يدلُّنا على ذلك ما قيل في ترجمة الشاعر الشيخ محمد رضا الخزاعي (ت ١٣٣٢هـ)، فقد أثار الشيخ الطريحي في شخصيته الأدبية وبراعتها أن «ازدلف إلى فريقٍ من أدباء آل طريح، وتتلّمذ على أيديهم، وأخذ يستقي من بحر آدابهم العربية الصافية، ويحضر نواديهم التي كانت تنعقد بين آونةٍ وأخرى لأجل المذاكرات الأدبية، وبقي ملازمًا لتلك النوادي حتى نال بسببها من الأدب الحظّ الأوفر، وصارت له مكانةٌ سامية في عالمه»^(١).

ويمكن أن نتحسّس هذا الدور بذكر مسردٍ لبعض أعلام هذه الأسرة من الأدباء^(٢):

١. الشيخ محمود بن أحمد بن عليّ الطريحي (عمُّ الشيخ الطريحي)، وهو شاعرٌ مكثّر، روى بعض شعره الشيخ الطريحي في كتاب (المنتخب).
٢. الأديب الشاعر عبد الوهاب الطريحي (أخو الشيخ الطريحي)؛ له كتاب سمّاه (المراثي).
٣. الشيخ حسام الدين بن جمال الدين الطريحي (ابن أخ الشيخ الطريحي)، كان شاعرًا فقيهاً.
٤. الشيخ محي الدين بن محمود الطريحي (ابن عمّ الشيخ الطريحي)، وكان عالمًا أدبيًا شاعرًا.

جهوده اللغوية والأدبية:

لن ندرك جهود الشيخ الطريحي اللغوية إلا عبر التعرّف - أوّلاً - على مصنّفاته في اللغة والأدب بشكلٍ خاصّ، وحديث العلماء عنه - ثانيًا - وقد مررنا به موجزًا، أمّا

(١) ينظر مجمع البحرين: ١/ ١٣.

(٢) خاتمة المستدرک: ٢/ ٧٥.

التعرُّف على مصنَّفاتِه في هذا الميدان فإنَّ ما لاحظناه هو قلَّة الدراسات المستوعبة لهذه الجهود، فلم تخضع التركة اللغويَّة والأدبيَّة للشيخ الطريحيِّ لدراسةٍ تستوعب جهوده.

ولنمثِّل لذلك بمثال شاعريَّة الطريحيِّ؛ إذ لم نرَ دراسةً علميَّةً تستوعب شعر الطريحيِّ؛ تلك الدراسة التي تؤهِّلنا لمعرفة شخصيَّة الفقيه الشاعر، ومدى تأثير كلِّ جانبٍ في الآخر، وانعكاس ذلك على أسلوب شعره، فهل كان الطريحيِّ بارعاً في استعمال الفصيح من الألفاظ؟ وكيف كانت الصور الفنيَّة في شعره؟ وما طبيعة ذلك الشعر وحقول ألفاظه في الدلالة؟ أو قل: كيف كان معجمه الشعريِّ؟ كلُّ تلك الأسئلة تُثير ذهن المتخصِّص لدراسةٍ أكثر استيعاباً لهذه الشخصيَّة؛ ومن ثمَّ فهمها فهماً أقرب إلى الاستيعاب.

ولم تكن جهود الطريحيِّ اللغوية أوفر حظاً من جهوده الأدبيَّة؛ إذ لم تحظْ هي الأخرى بالدراسات المستوعبة؛ اللهمَّ غير ما قدَّمناه من دراسةٍ مختصَّة بأكبر أعماله اللغويَّة (مجمع البحرين)، وقد لاحظنا تلك الدراسات السابقة على هذه الدراسة التي تأتي لمعرفة حجم الجهد اللغويِّ للشيخ الطريحيِّ عبر كتابه (مجمع البحرين) بوصفه العمل الأكبر من أعماله في هذا الميدان، وبه عُرف الشيخ الطريحيِّ في الأوساط العلميَّة.

آثاره اللغويَّة والأدبيَّة :

بتتبعنا آثار العلَّامة الطريحيِّ^(١) نتمكَّن أن نضع يدنا على الجهود اللغويَّة التي قام بها، وسنقسِّمها كالآتي:

أولاً: المؤلَّفات المعجميَّة :

١. نزهة خاطر وسرور الناظر وتحفة الحاضر ومتاع المسافر: في غريب القرآن وهو بمثابة الشرح لكتاب (غريب القرآن) للسجستاني، وسُمِّي أيضاً بـ (ربيع

(١) لمراجعة آثاره ينظر أعيان الشيعة: ٣٩٥ / ٨.

الإخوان الموضح لكلمات القرآن)، وعُرف بـ (كشف غوامض القرآن)، والغرائب القرآنية)، و(تفسير غريب القرآن)؛ فكلُّ هذه الأسماء لمسمّى واحد^(١)، وفرغ منه سنة (١٠٥١هـ).

٢. غريب القرآن: وهو غير (نزهة الخاطر)، وهو موجود في خزانة كتب الشيخ عليّ ابن الشيخ محمّد رضا آل كاشف الغطاء بالنجف، كما صرّح الطهراني^(٢).

٣. التكملة والذيل والصلة للصحاح: وهو تكملة صحاح الجوهريّ.

٤. غريب أحاديث الخاصّة: وقد كتبه قبل مجمع البحرين، كما صرّح في بداية المجمع.

٥. مجمع البحرين ومطلع النيرين في غريب القرآن والحديث: فرغ منه سنة (١٠٧٩هـ)، وهو موضوع هذه الدراسة.

ثانياً: المؤلفات اللغوية وما يتصل بها:

١. تحفة الوارد وعلاج الشارد: ألّفه في اللغة.

٢. عواطف الاستبصار: قال الطهرانيّ في (الذريعة): «بيّن فيه ما في أسانيد كتاب (الاستبصار) [في الحديث] لشيخ الطائفة [الطوسي] من عطف رجلٍ على آخر، وعمد إلى تعيين المعطوف عليه في الموارد المحتملة بالقرائن الداخلية والخارجية، وهو جزء لطيف موجود عند الشيخ عبد الرسول الطريحيّ في النجف»^(٣)؛ فهذا اللون من التأليف - وإن كان يخدم علم الحديث - لكنّه بيّن أثر الجهود اللغوية في خدمة العلوم المتصلة بها.

٣. ضوابط الأسماء واللواحق: وهي رسالة في ضبط أسماء الرواة، ربّتها على الحروف، قال في مقدّماتها: «هذا ما وقفْتُ عليه بعد التتبُّع والاستقراء

(١) ينظر تفسير غريب القرآن: فخر الدين الطريحيّ: مقدمة التحقيق: ١٢.

(٢) ينظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آغا بزرك الطهرانيّ: ١٦ / ٤٨، ر ٢٠١.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٥ / ٣٥٥، ر ٢٢٧٩.

من ضبط ما يقع فيه الاشتباه من أسماء الرجال، وضبط ما يلحقها من الألقاب»^(١).

ثالثاً: المؤلفات الأدبية وما يتصل بها:

١. كنز الفوائد في تلخيص الشواهد: وهو ملخص لكتاب (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) لبدر الدين أبي الفتح عبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣هـ).

٢. ديوان يتضمّن أعماله الشعريّة.

٣. النكت اللطيفة في شرح الصحيفة: ألفه في شرح الصحيفة السجّادية للإمام زين العابدين، والمطلع على الصحيفة السجّادية في أدب الدعاء يجد الكثير من الألوان البلاغيّة والثراء اللفظي الذي يشحذ همّة المتخصّص لاستخراج هذه الألوان.

٤. المنتخب في جمع المراثي والخطب، وقد ربّته على عشرين مجلساً، في كلّ مجلسٍ أبواب، وفي كلّ بابٍ يذكر شيئاً من فضائل أهل البيت ومصائبهم ومراثيهم، ويُقال له: (مجالس الطريحيّ) و(المجالس الفخرية)، وقد زيد على هذا الكتاب وسُمّي (المنتخب الكبير) على ما ذكر الشيخ الطهراني^(٢)، وقد شغل هذا الكتاب الأوساط العلميّة؛ لما تضمّنه من مروياتٍ متعلّقة بواقعة الطف لم تسلم من النقد والمحااجة؛ مما دفع بعض المجانبين للموضوعيّة إلى شنّ الهجمات تلو الأخرى على شخصيّة الشيخ الطريحيّ، وفي هذا الميدان يمكن أن نجد إجابةً لمثل هذه النقود والتساؤلات لو أسقطنا الشخصيّة الأدبيّة للطريحيّ - بما تضمّن من خصوبة في خياله السرديّ؛ كونه شاعراً لغويّاً - على الأخبار التاريخيّة المؤرّخة لواقعة الطف، تلك النظرية التي لا تزال قيد الفحص والتثبت^(٣).

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١١٩/١٥، ٨٠١ر.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤٢٠ / ٢٢، ٦٧٩٦ر.

(٣) بحثٌ هذه القضية أختي الفاضلة الأستاذة كوثر آل سعيد في ورقةٍ بحثية - قيد النشر - بعنوان:

٥. مستطرفات نهج البلاغة، أو (المستطرفات في نهج الهداة): ولم يذكر المترجمون تفصيلاً عنه.

تأثير الأجناس الأدبيّة والقوليّة في صياغة الوقائع والأحداث، واقعة الطف أنموذجاً) بإشراف
الدكتور عبد الله البهلول.

المبحث الثاني: علاقة كتب الغريب بالمعجم العربي

معنى الغريب:

بتتبعنا المعاجم العربية نجد حقلاً دلالياً يمكن أن تدور حوله العديد من مشتقات مادة (غرب)؛ وهو البعد، سواءً أكان البعد الحسي أم المعنوي، ومثال الأول: الغربة والاعتراب والتغريب؛ فكلها ألفاظ دالة على البعد الحسي المكاني، ومثال الثاني: الخبر المُعْرَب؛ وهو الخبر الذي بُعد معناه عن الذهن عند أكثر الناس، قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): «الخبر المُعْرَب: الذي جاء غريباً حادثاً طريقاً»^(١).

وقد عرّف بأنه: «الغامض من الكلام؛ وكلمة غريبة، وقد عرّبت، وهو من ذلك»^(٢)، فالغريب إذاً هو ما بُعد عن الأذهان ولم يُعرّف معناه.

وما ذكرناه أشعر به أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في كتابه (غريب الحديث)؛ إذ قال: «الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، ومنه قولك للرجل إذا نَحَيْتَهُ وأقصيته: اغْرُبْ عَنِّي، أي: ابعد، ومن هذا قولهم: نوى غربة، أي: بعيدة، وشأؤ مُعْرَبٌ، وعنقاء مغرب: أي جائية من بُعد، وكلُّ هذا مأخوذاً بعبء من بعض»^(٣)، ثم أشار إلى أنّ الغريب من الكلام له مفهومان: الأول: هو ما بُعد معناه من الكلام؛ فلا تصل إليه الأفهام إلا بعد طول فكرٍ ونظر، والثاني: هو كلام الشواذ من قبائل العرب الذين بُعدت بهم الدار، فنسّمى ما يقع من ألفاظهم ولا نفهمه غريباً؛ مع كونه ليس غريباً عندهم، وهذا هو مفهوم البلاغيين للغريب^(٤)؛ وهو بذلك قريب من تقسيم التهانوي (ت ١١٥٨هـ)؛ إذ قسّم الغريب إلى غريبٍ مخلٍّ بالفصاحة، والثاني

(١) لسان العرب، مادة (غرب).

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣٥٥ / ١٥، ر ٢٢٧٩.

(٣) غريب الحديث: أبو سليمان الخطابي: ٧٠ / ١.

(٤) ينظر الخطابي وغريب الحديث: عبد العاطي محمد شلبي: ٤٢.

غير مخلّ بالفصاحة.

فأمّا المخلّ بالفصاحة فهو الذي يُعاب استعماله عند الأعراب الخُلص وعند غيرهم، وهو الذي تحتاج معرفته إلى التنقيح والبحث عنه في كتب اللغة المبسوطة كـ (تكأاتم) و(افرنقوا) و(احرنجم)، وغيرها، وأمّا غير المخلّ بالفصاحة فهو الذي لا يُعاب استعماله على الأعراب الأقحاح؛ لأنّه واضح لهم ومأنوس به، مثل: (شربت) و(اشمخر)، فهاتان لفظتان غريبتان علينا واضحتان عند هؤلاء، ومن هذا الغريب الفصيح غريب القرآن والحديث^(١)، فالمقصود من الغريب «تلك الألفاظ البائدة التي قلّ استخدامها، فأصبحت المعرفة بها غريبة عند أبناء الجماعة اللغوية، فإذا ما استُخدمت نجمت ضرورة شرحها وإيضاحها»^(٢).

كتب الغريب ومؤلفوها:

من المعقول جدّاً أن تكون بدايات التدوين في كتب الغريب مخصّصة لفهم الألفاظ المستغربة في القرآن الكريم، فقد عُرِي أوّل كتاب في غريب القرآن إلى الصحابيّ عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ)؛ والغريب أن التراجم لا تذكر أن لابن عباس كتاباً بهذا الميدان؛ ممّا حدا بالدكتور حسين نصّار (ت ٢٠٠٧م) أن يفترض أن بعض الرواة جمع آراء ابن عباس المتناثرة في هذا الحقل في كتابٍ سُمّي بغريب القرآن^(٣)، ونسبه إلى ابن عباس^(٤).

وعلى كلّ حالٍ فإنّ تأليف هذا اللون من الكتب لم يتأخّر عن النصف الأول من القرن الثاني الهجريّ؛ ذلك أنّ المترجمين ذكروا كتاباً بعنوان (غريب القرآن) لأبان بن تغلب بن رياح البكريّ (ت ١٤١هـ)، ويتلوه عليّ بن حمزة الكسائيّ (ت ١٨٩هـ) وغيره، والملاحظ أنّ حركة التأليف في كتب غريب القرآن ازدهرت عند اللغويين

(١) ينظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانويّ: ٢ / ١٢٥٠.

(٢) مدخل إلى علم اللغة: محمود فهمي حجازي: ١٥٣-١٥٤.

(٣) ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره: حسين نصّار: ١ / ٣٣.

(٤) ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره: ١ / ٣٣.

في القرن الثالث الهجري؛ إذ أُلّف العديد من اللغويين في هذا الميدان، كالنضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، والأصمعي (ت ٢١٣هـ)، وثلعب (ت ٢٩١هـ) وغيرهم^(١)، ولم يصل إلينا من مؤلفات هؤلاء اللغويين غير كتاب (غريب القرآن) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).

واستمرت حركة التأليف وسجّل الباحثون العديد من الأسماء التي أسهمت في هذا الميدان، إلا أنّ ما وصل إلينا يعدّ قليلاً؛ ككتاب (نزهة القلوب) لمحمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، وكتاب (المفردات في غريب القرآن) لمحمد الراغب الأصفهاني (كان حيّاً في أوائل القرن الخامس)، وكتاب أبي حيّان النحوي (ت ٧٤٥هـ) المسمّى بـ (تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب) وغيرها.

ويمكن القول إنّ كتب غريب القرآن في بداية عهدها تشكّل الأساس المكوّن للمعاجم العربيّة؛ «إذ بدأت الدراسة في هذا الميدان من ميادين اللغة بالبحث عن معاني الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، ولذلك نجد التأليف الأولى في المعاجم العربيّة تحمل اسم غريب القرآن»^(٢).

أمّا التدوين في كتب غريب الحديث فهو متأخّر؛ بطبيعة الحال الذي عرض لتدوين الحديث النبويّ، فالمتيقّن أنّ البدايات كانت في أواخر القرن الثاني الهجريّ ومطلع القرن الثالث «فيقال إنّ أول من ارتاد الطريق وصنّف في غريب الحديث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميّ، المتوفّى سنة (٢١٠هـ)، ثمّ تتابعت الجهود وأخذت تخطو نحو الكمال، فصنّف أبو عدنان السلميّ عبد الرحمن بن عبد الأعلى معاصر أبي عبيدة كتاباً في غريب الحديث»^(٣).

(١) ينظر مقدّمة معجم ألفاظ القرآن الكريم: ١/ ص (و).

(٢) أثر كتب غريب الحديث في تأليف المعاجم اللغويّة العربيّة: محمود مبارك عبيدات، وحسين مصطفى غوانمة، مجلة دراسات - العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، الأردن، المجلّد ٤١ / العدد ٣ / السنة ٢٠١٤ / ٨٠٣.

(٣) مقدّمة تحقيق كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٣/ ١.

وهذا النص الذي نقلناه عن ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) يثبت لنا أن أبا عبيدة هو أوّل من كتب في هذا الحقل، غير أن ذلك محلّ توقّف عند بعض الباحثين^(١)، ويتلو أبا عبيدة النصّ بن شميل (ت ٢٠٣هـ)، وكتب في القرن الثالث الهجري في غريب الحديث العديد من اللغويين؛ كقطرب (ت ٢٠٦هـ)، والأصمعيّ (ت ٢١٣هـ) والمبرد (ت ٢٨٦هـ) وغيرهم، إلا أن تلك الكتب لم تكن بحجم ما كتبه أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ)؛ فقد استوعب الكثير من ألفاظ غريب الحديث، وحاز إعجاب أكثر العلماء واللغويين في عصره؛ منهم كبار الفقهاء كالإمام أحمد بن حنبل، ولم يكن هذا الإعجاب إلا نتيجة عمل متواصل من قبل أبي عبيد دام أربعين سنة^(٢)، وتعاقت بعدها كتب غريب الحديث؛ ككتاب شمر بن حمدويه الهروي (ت ٢٥٥هـ)، وكتاب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، فقد ذكره ابن الأثير وفضّله على كتاب أبي عبيد من حيث استيعابه واستدراكه واعتراضه، ومن الطبيعي أن يكون أكبر من كتاب أبي عبيد^(٣).

ويعدّ كتاب أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربيّ (ت ٢٨٥هـ) من أكبر الكتب في ميدان غريب الحديث في القرن الثالث؛ فقد وصفه ابن الأثير بأنه كتاب كبير، ذو مجلداتٍ عديدة، ومع كثرة ما فيه من الفوائد والمعارف هجره الناس ولم يسدّ على كتابي أبي عبيد وابن قتيبة؛ ويرجع سبب ذلك إلى ما قاله ابن الأثير من أن الحربيّ «جمع فيه وبسط القول وشرح، واستقصى الأحاديث بطرق أسانيدها، وأطاله بذكر متونها وألفاظها، وإن لم يكن فيها إلا كلمة واحدة غريبة!»^(٤).

ويأتي القرن الرابع الهجريّ لنشهد بعض أعلامه ممّن ألف في الغريب، كالقاسم بن ثابت السرقسطيّ (ت ٣٠٢هـ) والذي أثنى على كتابه واشتهر، وابن دريد (ت ٣٢١هـ)، وأبي بكر محمد بن القاسم الأنباريّ (ت ٣٢٨هـ)، وابن درستويه (ت ٣٤٧هـ)، وحمد بن محمّد الخطّابيّ البُستيّ (ت ٣٨٨هـ)، وقد فُقدت هذه الكتب ولم يصل إلينا إلا كتاب الخطّابيّ البُستيّ فيما نعلم.

(١) ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره: ٤٢ / ١.

(٢) ينظر مقدّمة تحقيق كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣ / ١.

(٣) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر: ٦ / ١.

(٤) النهاية في غريب الحديث: ٦ / ١.

ومن أعلام القرن الخامس الهجريّ الذين أَلَّفوا في هذا المجال إسماعيل بن الحسن البيهقيّ (ت ٤٠٢هـ)، وأبو الفتح سليم بن أيوب الرازيّ (ت ٤٤٧هـ) وسَمَّى كتابه: (تقريب الغريبين).

أما القرن السادس الهجريّ فمن أعلامه في هذا الشأن إبراهيم بن محمد النَّسَوِيّ (ت ٥١٩هـ)، وأبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسيّ (ت ٥٢٩هـ) وسَمَّى كتابه (مجمع القرائب في غريب الحديث)، وأهمُّهم الزمخشريّ (ت ٥٤٨هـ) واسم كتابه (الفائق في غريب الحديث)؛ وهو من أغزر كتب الحديث في عصره مادَّةً، وأُعجب به الباحثون، وقد وصل إلينا وطُبِع، وقد أُعجب به ابن الأثير ومدحه بأنّه فائق على جميع كتب الغريب، فهو اسم على مُسمّى.

ومن أشهر أعلام القرن السابع الهجريّ في هذا الميدان هو أبو السعادات المبارك بن محمد الجزريّ المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)؛ فقد قدّم لنا كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر)، وقد ذاع صيته واشتهر، واهتمَّ به الكثير من أهل العلم واللغة، فاخصره السيوطيّ (ت ٩١١هـ) في كتاب (الدرّ النثير)، وممَّن أَلَّفوا أيضًا في هذا الحقل ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ).

ومن أشهر أعلام القرن الثامن، أحمد بن محمد المقرئ الفيوميّ (ت ٧٧٠هـ) في (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ).

ومن العلماء من جمع بين غريب القرآن وغريب الحديث، فكان السبق -في ما يحسب بعض الباحثين- إلى أبي عبيد أحمد بن محمد الهرويّ (ت ٤٠١هـ)، وسَمَّى كتابه بـ (كتاب الغريبين) وقد وصل إلينا، وقد ربَّته على الحروف المعجميّة الأصول بادئًا بالهمزة، وجعل لكلِّ حرفٍ بابًا، ويُفتح كلُّ بابٍ بالحرف الذي يكون أوَّلَه الهمزة، بناءً على الترتيب في الحروف، ولاحظ الدكتور حسين نصّار (ت ٢٠٠٧م) ملحوظةً مهمّةً في هذا المجال؛ إذ قال: «ولم يكن غريب الحديث شاهدًا مثل هذا الترتيب من قبل، فتأثر خطاه واحتضنه في ميدانه الخاص»^(١)؛ إذًا، ما نشاهده من ترتيبٍ للمعاجم على منهج ترتيب الحروف تأثّر بالجهد اللغويّ الذي قدّمه إلينا الهرويّ.

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره: ١ / ٥٣.

وهذه المجموعة التي ذكرناها من كتب الغريب ومؤلفيها ذكرها غير واحد من الباحثين، غير أن الدكتور حسين نصار (ت ٢٠٠٧م) درسها بشكل أكثر تفصيلاً فراجعها، والخلاصة أن هناك ثلاثة حقولٍ تدوينية للغريب، الأول: غريب القرآن، وقد اشتهر في هذا الميدان كتاب المفردات للراغب الأصفهاني، والثاني: غريب الحديث، وقد بلغ كتاب (النهاية) الشهرة الكبيرة في هذا الحقل، والثالث: كتب الغريبين؛ وهو ما جمع بين غريب القرآن وغريب الحديث، وقد أبدع فيه الهروي في (كتاب الغريبين).

كتب الغريب والمعاجم (التأثير والتأثر):

نشأت كتب غريب القرآن والحديث في ضوء اهتمام المسلمين بفهم النصّ القرآنيّ والنبويّ، إذ يمثلان المصدر الأساسيّ للتشريع على الصّعد كافة، وزاد الاهتمام لما توسّعت البلاد الإسلاميّة، فأصبح العرب والأعاجم بحاجة إلى مدوّنة تحوي الألفاظ المستغربة واستعمالاتها، أمّا حاجة الأعاجم فواضحة، وأمّا حاجة العرب فلأنّ لسانهم العربيّ أصاب تأثراً بالأعاجم بعد أن انتشر الإسلام، فامتزجت الألسن وتداخلت اللغات، ووطّدت المصاهرة هذا الأمر، فنشأ جيلاً جديداً لم يكن في عربيّته كالسابق، ذلك الجيل الذي حفظ من اللغة استعمالها المتداولة، فحفظوا الشائع من الألفاظ في ضوء الاستعمال، وتركوا الغريب من الألفاظ المستعملة في نصوص القرآن والسنة.

ونتيجة لذلك رأى المسلمون ألفاظاً كثيرة في القرآن والسنة لا يكادون يفقهون فيها حديثاً، وانشغل ثلّة من اللغويين بحلّ هذه المشكلة، فكانت معاجم غريب القرآن والحديث بوصفها المرجع اللغويّ الأساسيّ للعرب ومن نحا نحوهم، كلُّ ذلك جرى لسدّ حاجة المسلمين إلى فهم دينهم، وهذا يفسر لنا سبب ازدهار كتب الغريب في القرن الثاني وما بعده، أمّا ما كان في القرن الأول فكانت ألفاظ الغريب فيه قليلة ولم تكن متكرّرة.

وهذه المجاميع التي جعلت موضوعها الغريب، شكّلت البذرة الأساسيّة للمعاجم العربيّة؛ أي أنّ هناك علاقة متينة بين كتب الغريب والمعاجم اللغويّة، تلك العلاقة التي لا يمكن الجزم بسببها؛ لعدم وجود المعطيات الكافية في ذلك، وإنّما هي علاقة تأثير وتأثر، فقد أثرت كتب الغريب في المعاجم العربيّة بشكل كبير.

ويمكن تحديد أطر هذه العلاقة بين كتب الغريب والمعاجم العربية عبر جهتين؛
الأولى: المادة اللغوية، والثانية: تنظيم هذه المواد وترتيبها، وبيان ذلك كالاتي:

أولاً: المادة اللغوية :

نظر أرباب المعجم إلى كم هائل من الألفاظ المستقاة من كتب الغريب؛ تلك الكمية التي لم يجدوها في غير تلك الكتب، مع عدم إغفال المدونات اللغوية الأخرى، إلا أن ما يميّز كتب الغريب غزارة المادة اللغوية أولاً، وتحديد دلالة المادة اللغوية في ضوء الاستعمال ثانياً، مما يوضّح المعنى بشكلٍ دقيق، ولا يفصله عن سياقه.

وأخذ هذا الاعتماد على كتب الغريب في المادة اللغوية طريقتين:

الطريق الأول: كان في نقل أقوال أصحاب كتب الغريب؛ لا سيما اللغويين منهم: كالنضر بن شميل (ت٢٠٣هـ)، وقطرب (ت٢٠٦هـ)، والأصمعي (ت٢١٦هـ)، وشمربن حمدويه الهروي (ت٢٥٥هـ)، والمبرد (ت٢٨٦هـ)، وابن كيسان (ت٢٩٩هـ)، وابن دريد (ت٣٢١هـ)، وأبي بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)، وابن درستويه (ت٣٤٧هـ)، والزمخشري (ت٥٣٨هـ)، وغيرهم.

ولأجل التمثيل لهذا التأثير الواضح، أحصينا عند ابن منظور في (لسان العرب) نقولات متكررة عن أصحاب الغريب؛ فقد نقل عن النضر بن شميل (ت٢٠٤هـ)، وقطرب (ت٢٠٦هـ)، والأنباري (ت٣٢٨هـ) والزمخشري (ت٥٣٨هـ)، عشرات المواضع، وزاد في ذلك بنقله عن شمربن حمدويه (ت٢٥٥هـ)، فقد نقل عنه في مئات المواضع.

وهذه النقولات عن أصحاب الغريب ظاهرة ملاحظة في أغلب المعاجم العربية، وضرنا المثال بابن منظور وحده؛ لشهرته واستيعابه وجمعه المادة العلمية، فأصبح العمدة عند كثير من الدارسين في المعاجم العربية، ولوضوح هذه الظاهرة عنده بشكل أكبر من غيره، وهذه النقول تتضمن الوثاق؛ إذ لا ينقل أصحاب المعاجم عن لا يثقون في فصاحته وروايته.

الطريق الثاني: كان في اعتماد بعض كتب الغريب المهمة مصدراً تُستسقى منه المادة اللغوية؛ فكان المعجمي يعتمد على أحد كتب الغريب، فيعده مادةً لغويةً له؛ لاسيما تلك الكتب التي طبقت شهرتها الأقطار؛ ككتاب (غريب الحديث) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وكتاب (الفائق) للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وكتاب (النهاية) لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)؛ الذي بلغ فيه الغاية، وصار القمّة في هذا الشأن كما يقول الدكتور حسين نصّار (٢٠٠٧م)^(١).

وللتمثيل لما قلناه نذكر ثلاثة من المعجميين^(٢) الذين نصّوا على كون غريب الحديث جزءاً من مصادر معاجمهم:

١. اعتمد ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) على الغريب في معجمين له:

- معجم مقاييس اللغة؛ إذ اعتمد فيه على كتاب العين للخليل (ت ١٧٥هـ)، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، والجمهرة لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، وعقب على ذلك قائلاً: «فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة»^(٣).

- معجم مجمل اللغة؛ فنجده اعتمد على كتاب غريب الحديث للنضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ)، وغريب أبي عبيدة (ت ٢١٠هـ)، وغريب أبي عبيد (ت ٢٢٤هـ)، وغريب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وغريب الحديث للحري (ت ٢٨٥هـ)^(٤).

٢. والساغاني (ت ٥٧٧هـ) الذي نصّ في (العباب) على اعتماده كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ)، وغريب أبي عبيد (ت ٢٢٤هـ)، وغريب الحري (ت ٢٨٥هـ)، وغريب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وغريب البستي الخطابي (ت ٣٨٨هـ)،

(١) ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره: ١ / ٥٣.

(٢) ينظر أثر كتب غريب الحديث في تأليف المعاجم اللغوية: ٨٠٥.

(٣) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس الرازي: ١ / ٥.

(٤) ينظر مقدمة تحقيق (مجمل اللغة): زهير عبد المحسن سلطان: ٣٦-٣٨.

والمُلخّص في غريب الحديث للباقرحي (ت٥١٦هـ)، والفائق للزمخشري (ت٥٣٨هـ).

٣. وكذلك ابن منظور (ت٧١١هـ)؛ إذ استقى مادّته من كتاب تهذيب اللغة للأزهري، ومحكم ابن سيده، وصحاح الجوهري، وحواشي ابن بري، ونهاية ابن الأثير، ذكر ذلك في خطبة الكتاب التي مدح فيه أصحاب هذه الكتب ونقد أعمالهم استهلالاً لمميزات كتابه (لسان العرب)، إذ إنّه هدف فيه إلى الاستقصاء والترتيب، وضِيح استقصاء اللغة الترتيب في تهذيب الأزهري، ومحكم ابن سيده، أمّا الصحاح فقد جعل همّه الترتيب، وغابت عنه بعض المفردات، فجمع ابن منظور هاتين الميزتين وجعلهما هدفه^(١).

ومن أهمّ الأسباب التي دفعت ابن منظور إلى وضع (لسان العرب)؛ الاستعانة بمعجمٍ مرتّبٍ مستوعب للألفاظ العربيّة التي تعين على فهم النصّ الدينيّ؛ ومن ثمّ فهو بحاجةٍ إلى زيادة الاستشهاد بالاستعمالات اللفظيّة في هذا النصّ، وهذا يفسّر لنا اعتماده بشكلٍ كبيرٍ على كتب غريب القرآن بشكلٍ عامّ، وكتاب النهاية بشكلٍ خاصّ^(٢).

ولمعرفة مدى الأثر الذي تركه كتاب (النهاية) ففي (لسان العرب) أحصى الباحثان محمود عبيدات ومصطفى غوانمة (١١٥٧٢) موضعاً أفاد منه ابن منظور من كتاب (النهاية)^(٣)، إضافةً إلى نقله من كتب الغريب الأخرى - كما أشعرنا قبل، وهنا نذكر هذا بشيء من الاستيعاب، حيث تفاوت نقله قلّةً وزيادةً عن هذه الكتب وأصحابها، فقد نقل عن غريب أبي موسى المدينيّ (ت١٥٧هـ)، وغريب النضر بن شميل (ت٢٠٣هـ)، وغريب أبي عبيدة (ت٢١٠هـ)، وغريب أبي عبيد (ت٢٢٤هـ)، وغريب شمر بن حمدويه الهرويّ (ت٢٥٥هـ)، وغريب ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، وغريب الحربيّ (ت٢٨٥هـ)،

(١) ينظر لسان العرب: ٨/١.

(٢) ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره: ٥٠٩ / ٢.

(٣) ينظر أثر كتب غريب الحديث في تأليف المعاجم اللغويّة: ٨٠٥.

وغريب ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، وغريب البستي الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، والغريبين للهروي (ت ٤٠١هـ)، والفائق للزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

ثانياً: تنظيم المواد وترتيبها:

لوقوف على حقيقة تأثر المعاجم العربية بكتب الغريب في تنظيم المواد المعجمية وترتيبها نعرض عرضاً موجزاً مناهج المعجميين في تنظيم المواد المعجمية، ثم مناهج أصحاب كتب الغريب، ومن ثم نستعرض النتائج التي توّقفنا على حقيقة هذا التأثير والتأثير في تنظيم المادة المعجمية.

مناهج المعاجم العربية:

من اللافت للنظر تلك التقنيات التي استخدمها أصحاب المعاجم اللغوية العربية لتنظيم المادة المعجمية وتبويبها، وتعود بدايات المعجم العربي إلى الجهود الصوتية العظيمة التي قام بها أوّل مؤلّفي المعاجم، وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٩هـ) في كتابه (العين)؛ فقد عني الخليل بفكرة ذكيّة لم تكن شائعة في عصره، إذ اعتمد فكرة (الترتيب الصوتي) اعتماداً على المخارج الصوتية، بعد أن أعمل ذهنيته الرياضية الفذة في حصر ألفاظ اللغة نظرياً بكلّ طرقها الممكنة، فأظهر لنا أنّ اللغة تحوي نوعين من اللفظ: لفظ مهمل دلّت عليه الدراسة النظرية، ولفظ مُستعمل يستعمله أبناء اللغة ويتداوله العرب بشكلٍ عامّ، فعني الخليل بمعناه وأثبتته في كتابه (العين)، وسادت هذه المدرسة وذاعت وتأثّر بها المعجميون؛ كالقالي (ت ٣٥٦هـ) في (البارع)، والأزهري (ت ٣٧٠هـ) في (تهذيب اللغة)، والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) في (المحيط)، وابن سيده (ت ٤٥٨هـ) في (المحكم).

ويأتي ابن دريد (ت ٣٢١هـ) ليؤسس شكلاً آخر من الترتيب يختلف عن الترتيب الصوتي، ولأجل التيسير على الطالب بنى كتابه (الجمهرة) على الترتيب الأبائّي، غير أنّ هذا الترتيب اتخذه في ترتيب المداخل (المواد) المعجمية، فهو لم يؤسس كتابه على الأحرف؛ بل أسسه على الأبنية، وأعمل النظام الأبائّي داخل هذه الأبنية، وتبعه في هذا الترتيب ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابيه (مقاييس اللغة) و(المجمل)، وتُعرف

هذه المدرسة المعجمية بمدرسة الأبنية.

وأبدع الجوهري (٣٩٣هـ تقريباً) ترتيباً آخر مختلفاً عن الأوّلين، وهو الترتيب بحسب القافية؛ تسييراً للبحث عن الموادّ المعجمية المتكثّرة، ملتزماً بالصحيح المستعمل من الألفاظ، فكتب كتابه (تاج اللغة وصحاح العربيّة)، فقد عمد إلى أواخر الحروف من الألفاظ، ورَتَّب الألفاظ بدءاً من الهمزة حتى الياء وفقه، وسُميت هذه المدرسة بمدرسة القافية، واشتهرت وذاعت، فتأثّر بها الصغاني (ت٦٥٠هـ) في (العباب)، وابن منظور (ت٧١١هـ) في (لسان العرب)، والفيروز آبادي (ت٨١٦هـ) في (القاموس المحيط)، والزبيدي (ت١٢٠٥هـ) في (تاج العروس).

والشغل الشاغل للمعجميين تسهيل الوصول إلى المادّة المعجمية، وهذا ما دفع الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إلى اعتماد النظام الألفبائيّ بشكل أساسيّ في ترتيب الموادّ المعجمية، فقد رَتَّب كتابه (أساس البلاغة) بدءاً من أول حرفٍ في الكلمة، ثمّ الثاني، ثمّ الثالث، فقَسَّم الحروف إلى أبوابٍ بدءاً بباب الهمزة وختاماً بباب الياء، وقَسَّم الأبواب إلى فصولٍ مع مراعاة الحرف الثاني والثالث، وهذه المدرسة كانت لها آثار كبيرة في المعاجم المعاصرة، لاسيّما معاجم اليسوعيين؛ كمعجم (محيط المحيط) لبطرس البستاني، و(أقرب الموارد) لسعيد الدين الخوريّ الشرتوني، وهذه المدرسة أصبحت شائعةً في العمل المعجميّ بشكله العام، واعتمدها مجمع اللغة العربيّة في القاهرة في (المعجم الوسيط) و(المعجم الكبير) ومشروعاته المعجمية الأخرى.

والخلاصة في هذا الموجز، أنّ الهدف الأكبر للمعجميين هو حصر ما يمكن حصره من الألفاظ العربيّة واستيعابها في مدوّنة (المعجم)، وبعد أن يتمّ ذلك يكون همُّ المعجميين ترتيب تلك الموادّ المعجمية بنظامٍ مفيدٍ للطالب، يسهّل عليه الوصول إلى ما قيّدوه في معاجمهم من ألفاظ، وهذا بحاجةٍ إلى جهدٍ كبيرٍ وأعمالٍ ذهنيّة، فتنوّعت الطرق واختلفت المشارب في هذا الأمر، فكانت المدارس المعجمية: مدرسة الترتيب الصوتيّ ورائدها الخليل (ت١٧٩هـ)، ومدرسة الترتيب البنائيّ ورائدها ابن دريد (ت٣٢١هـ)، ومدرسة القافية ورائدها الجوهريّ (ت٣٩٣هـ تقريباً)، ومدرسة النظام الألفبائيّ ورائدها الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)؛ وينبغي التنبيه على أنّ تلك المدارس لم

تُهمل النظام الألفبائي بتمامه؛ بل استعانت به بشكل ثانوي؛ ولم تستعن به بشكله الأساسي.

مناهج كتب الغريب:

إن كانت بدايات المعجم العربي اعتمدت على جهود الخليل (ت ١٧٩هـ) في درس الصوتي، فإن كتب الغريبيين اتكأت على علم الحديث في مناهجها؛ وذلك لتتبعها الألفاظ الغريبة في الأحاديث، فكان من الطبيعي أن تعتمد منهجية قريبة على منهجية كتب الحديث في الترتيب، فدارت في ترتيبها المادة المعجمية في فلك كتب الحديث، إلى أن انفصلت عن منهجية كتب الحديث وكانت للغة أقرب، وهذا يفسر لنا المناهج المتعددة لكتب الحديث في ترتيبها المادة المعجمية، وبيان هذه المناهج كالاتي^(١):

١. منهم من يتدئ بشرح الحديث النبوي، وما احتواه من الغريب، ثم يشرح أحاديث الصحابة، ثم التابعين، كابن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وأبي سليمان البستي الخطابي (ت ٣٨٨هـ).
٢. ومنهم من يجمع الأحاديث الطويلة المأثورة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين، ويشرحها، وذكر بعض الباحثين أن الكتاب المتفرد بذلك هو كتاب ابن الأثير المسمى بـ (منال الطالب في شرح طوال الغرائب).
٣. ومنهم من يجرّد الأحاديث بعينها، ويفردها بالشرح، مثل ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) حين شرح حديث السيّد عائشة في وصف أبيها في كتاب (بغية الرائد لما تضمّنه حديث أمّ زرع من الفوائد) للقاضي عياض.
٤. ومنهم من يبدأ بترتيب الأحاديث حسب أسانيدها، ثم يرتب ما فيها من الغريب بحسب المخارج بدءاً بحروف الحلق، ثم الأقرب فالأقرب، وكل كلمة يعرضها بنظام التقلبيات والمخارج؛ وهو ما فعله الحربي (ت ٢٨٥هـ) في غريبه.

(١) ينظر في اللغة والأدب دراسات وبحوث: محمود الطناحي: ١/ ٣٩٣.

٥. ومنهم مَنْ يُنَسِّقُ الأحاديث حسب حروف المعجم^(١)، ويشرحها وَفَقًا لحروف الهجاء؛ وهذه الطريقة سهلة المنال ويسيرة على الطالب، تفيد في تتبُّع اللفظة واستعمالاتها السياقية، وقد اتبع هذه الطريقة كثير مَمَّنْ صَنَّفُوا في الغريب؛ كالهروي (ت ٤٠١هـ) في كتابه (الغريبين)، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في كتابه (الفائق)، وابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) في كتابه (النهاية).

تلك هي المناهج التي اعتمدها أصحاب كتب الغريب لأنفسهم، والهَمُّ الأكبر لهؤلاء هو حصر الألفاظ الغريبة في ميدان النَصِّ الديني (القرآن والحديث) بأكبر قدرٍ ممكن، ثم ترتيب المواد المحصورة في مدوِّنة تُسهِّلُ على الطالب الوصول إلى الألفاظ الغريبة في الحديث؛ تلك الألفاظ التي يحتاجها طالب علم الحديث بشكلٍ أكبر من غيره، فكان هذا سبب ترتيبهم المواد المعجمية موزعة على الأحاديث الدينية.

استنتاج:

ثمَّ إنَّ الملاحظ من ذلك كلُّه أمران:

الأوَّل: إنَّ هناك تأثيرًا تركه الخليل بن أحمد (ت ١٧٩هـ) في أحد كتب الغريب، وهو كتاب غريب الحديث للحربي (ت ٢٨٥هـ)؛ فقد تأثر الحربي بمنهج الخليل، إذ أضاف إلى طريقة الترتيب السائدة في كتب الحديث طريقة الخليل في (العين)، إذ استعمل نظام التقليلات والمخارج^(٢).

الثَّاني: إنَّ أوَّل من أدخل النظام الألفبائي في كتب الغريب هو الهروي (ت ٤٠١هـ) في كتابه الفريد (الغريبين)؛ إذ يقول موصِّحًا منهجه: «نبدأ بالهمزة فنُفِيضُ بها على سائر الحروف حرفًا حرفًا، ونعمل لكلِّ حرفٍ بابًا، ونفتتح كلَّ بابٍ بالحرف الذي يكون آخره الهمزة، ثُمَّ الباء، ثُمَّ التاء، ثُمَّ الثاء إلى آخر الحروف، إلَّا أنْ لا نجدَه فنتعدَّاه إلى ما نجدَه على الترتيب فيه، ثم نأخذ في كتاب الباء على هذا العمل، إلى أن تنتهي

(١) ينظر أثر كتب غريب الحديث في تأليف المعاجم اللغوية: ٨٠٦.

(٢) ينظر: مقدمة غريب الحديث للحربي: سليمان بن إبراهيم العابد: ٩٤/١.

بالحروف كلّها إلى آخرها»^(١)، ويصرّح بأنّه لم يُسبَق في هذا الكتاب؛ إذ يقول: «وكنْتُ أرجو أن يكون سبقني إلى جمعهما [أي غريب القرآن والحديث]، وضم كل شيء إلى لِفَقِهٍ منهما، على ترتيبٍ حسن، واختصار كافٍ، سابق، فكفاني مؤونة الدّأب، وصعوبة الطّلب، فلم أجد أحدًا عمل ذلك إلى غايتنا هذه»^(٢).

أمّا ما ذكره ياقوت الحمويّ (ت ٦٢٦هـ) من أنّ شَمِر بن حمدويه (ت ٢٥٥هـ) صنّف كتابًا كبيرًا أودع فيه تفسير القرآن وغريب الحديث، ورثبه على حروف المعجم، ابتداءً فيه بحرف الجيم^(٣)، فإنّه يعزّز أسبقية النظام الألفبائيّ على المعاجم العربية؛ إذ إنّ المعاجم العربيّة عرفت هذا اللون من الترتيب في عهد الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ) الذي اعتمد هذه المنهجية في كتابين؛ الأوّل (الفائق) في غريب الحديث، والثاني (أساس البلاغة) في المعاجم العربيّة.

ويمكن تفسير هذا بأنّ الزمخشريّ لما وجد سهولة الوصول إلى الموادّ اللغويّة عند الهرويّ، اعتمد طريقته في ترتيب الموادّ المعجميّة، فكتب على أساسها كتابه (الفائق) في غريب الحديث، و(أساس البلاغة) في المعجم، فأدخل هذا النظام في المعجم وتأثّر به المعجميون إلى يومنا هذا.

(١) الغريبين في القرآن والحديث: أبو عبيد الهرويّ: ١ / ٣٥.

(٢) الغريبين في القرآن والحديث: ١ / ٣٥.

(٣) لفت نظرنا إلى ذلك محمود عبيدات ومصطفى غوانمة في: أثر كتب غريب الحديث في تأليف المعاجم اللغويّة: ٨٠٦.

المبحث الثالث: معجم البحرين ومطلع النيرين

إنَّ القارئ لسيرة العَلَّامة الطريحيِّ، لابدَّ أن يتوقَّف على الجهود اللغويَّة التي قدَّماها في ميدان خدمة النصِّ الدينيِّ؛ كونه من الفقهاء المحدثين، تلك الجهود التي يأتي في طليعتها كتابه موضوع الدراسة، ونرَّكز الآن النظر في هذا الكتاب بالنحو الآتي:

نتحدث أولاً عن هدف الكتاب، ثمَّ نصف المقدِّمة والكتاب، ثمَّ نحلِّل نماذج مختارة من موادّه، ونبيِّن أهمية هذا الكتاب، والمآخذ التي أخذت عليه.

اسم الكتاب:

سمَّى الطريحيُّ كتابه بـ (مجمع البحرين ومطلع النيرين)، ولا نستطيع تحديد دلالة ذلك الاسم على مسماه؛ نعم يمكن أن نقول إنَّ التشبيه هنا تدلُّ على القرآن والحديث الشريف، كونه اهتمَّ بغريب القرآن والحديث بشكلٍ أساسيِّ.

ومن اللافت للنظر أنَّ الصغانيِّ في ضوء دراساته على كتاب (الصحاح) للجوهريِّ، جمع بين «كتاب الصحاح وكتابه التكملة وحاشية عليه، في كتاب كبير سمَّاه (مجمع البحرين ومطلع النيرين)، يوجد مخطوطاً في عدة مكاتب»^(١)، ويبدو لي أنَّ الطريحيِّ أُعجب بهذا الاسم فعنون كتابه به، وهذا أمر حاصل بين العلماء، فقد تجد عناوين متشابهة لعدَّة مؤلِّفين، وهذه الظاهرة شائعة إلى يوم الناس هذا.

الهدف من تأليفه:

يقدم الطريحيُّ لهدفه الأساسيِّ مقدِّمتين، كانت أولاهما قوله في مقدِّمة الكتاب: «فلما كان العلم باللغة العربيَّة من الواجبات العقليَّة؛ لتوقُّف العلوم الدينيَّة عليه،

(١) الدليل إلى المتون العلميَّة: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم: ٥٨٩ / ١.

وجب على المكلفين معرفته والالتفات إليه»، والمقدمة الثانية قوله: «وحيث لا طريق إلى معرفة غير المتواتر منها سوى الآحاد المستفادة من التتبع والاستقراء، مسّت الحاجة إلى ضبط ما هو بالغ في الاتفاق حدًّا يقرب من الإجماع ويوثق به الانتفاع»^(١).

ثمّ يوضّح هدفه بشكلٍ خاصّ في قوله: «ولمّا صُنِّفَ في إيضاح غير الأحاديث المنسوبة إلى الآل كتب متعدّدة ودفاتر متبدّدة، ولم يكن لأحدٍ من الأصحاب ولا لغيرهم من أولي الألباب مصنّف مستقلّ موضّح لأخبارنا، مبيّن لآثارنا ... حداني ذلك على الشروع في تأليف كتاب كافٍ شافي يرفع عن غريب أحاديثنا أстарها، ويدفع غير الجلي منها غبارها»^(٢).

وهذا يعني أنّ الطريحي كان يرمي من كتابه إلى تتبّع غريب المفردات الواقعة في الحديث المرويّ عن طرق الإمامية، ومن شأن هذا الكتاب أن يكون - كما رسم المؤلّف - كافيًا في هذا المجال، شافيًا لخليل الطالب، يرفع الحُجُب عن ما في حديث الآل من المطالب، ذلك الهدف الذي ينشده الطريحي من كتابه هذا، ولا بأس عنده أن يوسّع محتواه حتى يكون مبيّنًا لآثار الإمامية، وهذا ما سنقف عليه في النقطة الآتية، ثمّ إنّه لإتمام هذا الغرض بما لا مزيد عليه شفّعه بالغريب من القرآن الكريم، فصار الكتاب جامعًا لغريب الكتاب والسنة.

المحتوى:

اهتمّ الطريحيّ بجمع الموادّ اللغوية التي لها أهميّة استعمالية؛ لا سيّما في دائرة غريب القرآن والسنة، فتتبع الحديث الشريف المرويّ عن طريق الإمامية بشكلٍ خاصّ؛ كونه محدثًا وفقهًا من فقهاء الإمامية، ذلك يعني أنّ الطريحيّ أراد لكتابه (مجمع البحرين) أن يركّز على الغريب دون إهمال الألفاظ اللغوية الأخرى، فهو معجم لغويّ ضمّ في أكثر طبائته غريب القرآن والحديث.

(١) مجمع البحرين: ١٩ / ١.

(٢) مجمع البحرين: ١٠ / ١.

ويمكن بذلك أن نقول: إنَّ الطريحيَّ أراد أن يبتكر مسلماً وسطياً في كتابه، فقد أراد لكتابه أن يكون معجماً لغوياً شأنه شأن الصحاح مثلاً، ومجمعاً للغريب شأنه شأن النهاية مثلاً، ولأجل أن يكون الكتاب عمدةً في بابهِ، مستغنياً قارئه عن أيِّ كتابٍ، اهتمَّ الطريحيُّ بالمادة الموسوعية؛ يقول السيّد أحمد الحسيني - محقّق الكتاب - واصفاً (مجمع البحرين): «فهو كتاب لغويّ، وكتاب غريب القرآن، وكتاب غريب الحديث في وقتٍ واحد، بالإضافة إلى أنّه يلمع إلى أسماء بعض الأنبياء والمحدثين والعلماء والملوك والشخصيات التاريخيّة الكبيرة، والموادّ غير اللغويّة والتفسير وشرح الحديث والعقائد، فهو دائرة معارف صغيرة تُعين الطالب على التعرّف بكثير من الموضوعات المتعلّقة بالشيعة الإماميّة»^(١)، وهذا يقرّر ما أشرنا إليه من كون الطريحيّ جعل اهتمامه بالمادة الموسوعية، مع كون هذا الاهتمام يشكّل البذرة الأولى لـ (دائرة المعارف) عند الشيعة الإماميّة.

ونشير هنا إلى نقطةٍ مهمّة، وهي أنّ كتاب (مجمع البحرين) عُرف بين العلماء والدارسين بأنّه مصنّف في غريب الحديث عند الشيعة الإماميّة بشكلٍ خاصّ، وذلك لا ينافي كونه كتاباً لغوياً كما عبّر محقّق الكتاب، ومن الخطأ المنهجيّ بمكان أن نفصل كتاب مجمع البحرين عن كتب الغريب^(٢)؛ بل - بحسب رأينا الذي نظّنه - يشكّل مسلماً وسطاً بين المعاجم العربيّة وكتب الغريب؛ الأمر الذي سنبيّنه بعد ذلك.

منهجه:

كانت مدرسة الصحاح تحقّق الغرضين الأساسيين الذين يطلبهما أرباب المعاجم؛ وهما التزام الألفاظ الصحيحة المستعملة، وتيسير البحث عن الموادّ اللغويّة، أمّا الأوّل فكان الارتكاز فيه على السماع والفهم، فلا اعتماد على الكتب أو الوجدادة؛ إنّما الاعتماد على مشافهة العرب الموثوق بعربيّتهم، أو الاعتماد على قول الثقة الذي لا يشكّ في فصاحته كالأصمعيّ مثلاً. أمّا الثاني فكان عن طريق ابتكار نال الخطوة عند

(١) مقدّمة تحقيق مجمع البحرين: السيّد أحمد الحسيني: ١ / ١.

(٢) ذلك الأمر الذي أهملته الدراسة الثانية والثالثة، ولو تمّ التركيز عليه لكان الأمر أتمّ.

أهل الشأن؛ فقد اتّبع الجوهريُّ نظام القافية، وقد بيّناه في حديثنا عن المدارس المعجميّة، ذلك النظام الذي حفل به الشعراء والنثّار حيث خدمهم خدمة جليّة، فمَن تحيّر في قافيةٍ أو سجّعة كانت هذه المدرسة بغيته.

ولا نعتقد أنّ الطريحيّ كان بمنأى عن مدرسة الصحاح؛ إذ تُشكّل المعين الأكبر لمعجمه في ميدان الشعر والنثر، ولكون الطريحيّ على صلةٍ بهذا الجانب، سجّل إعجابه بصحاح الجوهريّ، وأراد أنّ يرتّب معجمه وفق هذا النظام، قال في المقدّمة: «ثمّ إنّي اخترتُ لترتيبه من الكتب الملاح ما أعجبنى ترتيبه من كتاب الصحاح»^(١)، ولا يعني ذلك أنّ الطريحيّ التزم منهج الجوهريّ في الصحاح بحذافيره، بل خالفه من جهتين:

١. **جهة في الشكل:** إذ جعل الطريحيّ - في ترتيبه للمداخل المعجميّة - الحرف الأخير من الكلمة (كتابًا)، والحرف الأوّل منها (بابًا)؛ وصرّح بذلك في قوله: «وحين تمّ التأليف صببته في قالب التصريف، معلّمًا لكلّ حرفٍ من حروف الهجاء كتابًا، ولكلّ كتابٍ أبوابًا»، في حين أنّ الجوهريّ جعل الحرف الأخير من المادّة المعجميّة (بابًا)، والحرف الأوّل منها (فصلًا)، فكان لكلّ بابٍ فصول، فالطريحيّ إذن اعتمد نظام الكتاب والباب، بخلاف الجوهريّ الذي اعتمد نظام الباب والفصل، فما سمّاه الجوهريّ (بابًا) سمّاه الطريحيّ (كتابًا)، وما سمّاه الطريحيّ (بابًا) سمّاه الجوهريّ (فصلًا)، وهذه المخالفة مخالفة لفظيّة وليست بذات بال، بخلاف المخالفة المنهجية.

٢. **جهة في المضمون:** جعل الطريحيّ باب (الهمزة) و(الألف) بابًا واحدًا، وهذه مخالفة منهجية لصحاح الجوهريّ؛ إذ فرّق الأخير بين البابين، قال الطريحيّ مبنيًا سبب المخالفة: «ثمّ إنّي اخترتُ لترتيبه من الكتب الملاح ما أعجبنى ترتيبه من كتاب الصحاح، غير أنّي جعلتُ بابي الهمزة والألف بابًا واحدًا؛ ليكون التناول أسهل، والانتشار أقلّ»^(٢).

(١) مجمع البحرين: ١٠ / ١.

(٢) مجمع البحرين: ١٠ / ١.

مصادره:

من المكوّنات الأساسية للمعجم المداخل فيه، ويجب أن تعتمد هذه المداخل على النصوص اللغويّة، «ولا يجوز الاكتفاء بالنقل عن المعاجم السابقة»^(١)، ذلك الأمر يعني أن المعجمي لا بُدَّ أن يعتمد في صناعته للمعجم على النصوص اللغويّة، ويحدّد منها دلالات الموادّ المعجميّة، ولا يكتفي بالنقل الأعمى من المعاجم، دون أن يدقّق أو يحقّق؛ فلربّما - بتحقيقه وتدقيقه - ينبّه على خطأ أو اشتباه، أو يستدرك قولاً، أو يوسّع دلالةً أو يضيفها؛ وذلك لأنّ الألفاظ لا تبقى على دلالةٍ واحدة.

ونستطيع أن نحدّد أهم المصادر التي صرّح بها الطريحيّ في المقدّمة، وهي تشمل نوعين:

الأوّل: كتب المعاجم اللغويّة، وعلى رأسها الصحاح للجوهريّ، والقاموس المحيط، وأساس البلاغة، والمجمل.

الثاني: كتب الغريب، وعلى رأسها كتاب المصباح المنير للفيوميّ والنهاية لابن الأثير، والدرّ النثير للسيوطيّ، وكتاب الغريبين للهرويّ، وشمس العلوم للحميريّ، ومجمع البحار للفتنيّ، وفائق اللغة للزمخشريّ، والمغرب الغريب، وشرح النهج العجيب.

قال في المقدّمة: «ووفقّ الله سبحانه المجاورةً لبيته الحرام وللحضرة الرضويّة على مشرفّها السلام، وظفرت هناك وهناك بعددٍ عديد من الكتب اللغويّة؛ كصحاح الجوهريّ، والغريبين للهرويّ، والدر النثير، ونهاية ابن الأثير، وشمس العلوم، والقاموس، ومجمع البحار المأنوس، وفائق اللغة، وأساسها، والمجمل من أجناسها، والمغرب الغريب، وشرح النهج العجيب، وغيرها من الكتب المرضيّة، والشروح المطّعة على النكت الخفيّة»^(٢).

(١) البحث اللغويّ: ٥٧.

(٢) مجمع البحرين: ٩/١.

ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ؛ بَلْ كَانَتْ الْمَهْمَةُ الْأَكْبَرُ وَضَعُ كِتَابٍ فِي غَرِيبِ حَدِيثِ الْإِمَامِيَّةِ، وَلَأَجْلِ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَلَّ مِنْ نصوص الأخبار المروية الاستعمالات اللغوية وجعلها في ضمن المادة المعجمية، كقوله مثلاً في مادة (هنا):

«قوله تعالى: (هَيْنئًا مَرِيئًا) [النساء: ٤]، أي: طَيِّبًا سَائِغًا، يقال: (هَنَانِي وَمَرَانِي) فإذا أفردت قلت: (أمرأني) بالألف» (إلى أن يقول: «والهنيء: اللذيذ الذي لا آفة فيه، والمريء: السهل المأمون الغائلة، وقوله **طَيِّبًا**: (لك المهناً وعليه الوزر)، أي: يكون أكلك له هنيئًا لا تؤخذ به، ووزره على مَنْ كسبه»، وفي المادة نفسها يقول: «وفي حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ستكون هنا وهناك، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَمْشِي إِلَى آلِ مُحَمَّدٍ لِيَفْرُقَ جَمَاعَتَهُمْ فَاقْتُلُوهُ)، أي: شرور وفساد، من قولهم: (في فلان هنا) أي: خصال شر، ولا يقال في الخير»^(١).

ونلاحظ أَنَّ الطريحي اتَّخَذَ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الشَّرِيفِ مَصْدَرًا أَسَاسِيًّا يَسْتَقِي مِنْهُ مَادَّةَ اللَّغَوِيَّةِ، فَتَلَحَّظُ فِي الْمَادَّةِ السَّابِقَةِ (هنا) أَنَّ الطريحي بدأ بالاستعمال القرآني، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي بَعْدَهَا بِالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ مَرُورًا بِتَفْسِيرِ الدَّلَالَاتِ.

وإذا كان القرآن الكريم والحديث الشريف مصدرين أساسيين لاستقاء المادة المعجمية، فلم يهمل الطريحي النقل عن اللغويين، فقد نقل عن جماعةٍ منهم الخليل والليث، والأزهري، وابن عرفة، وابن فارس، والفارابي، في مادة (لقط)^(٢) مثلاً، وعن أبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) في مادة (ننص)، وعن ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) في مادة (شطأ)، وعن ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) في مادة (بس) مثلاً، وغيرهم من الأعلام^(٣).

أما في النثر فقد اعتمد الطريحي على الدعاء بشكلٍ كبير؛ فتجد الطريحي تارةً

(١) مجمع البحرين: ١ / ٤٨٠.

(٢) ينظر: مجمع البحرين: ٤ / ١٣١.

(٣) عرض لذلك مفصلاً شهيد راضي حسين وخالد نعيم شناوة، ينظر: قراءة معجمية في كتاب مجمع البحرين ومطلع النيرين، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد الثاني/ سنة ٢٠١٠م/ ص ١٥، وما بعدها.

يتفرّد بذكر الاستعمال في الدعاء، كما في قوله في مادّة (صند): «في الدعاء: (نعوذ بالله من صنديد القدر) أي: دواهيه ونوائبه العظام، والصناديد: الدواهي، وصناديد قريش: أشرافهم وعظماؤهم ورؤساؤهم، جمع صِنْدِيد بكسر الصاد، وهو السيّد الشجاع»^(١)، وقوله في مادّة (ضهد): «في الدعاء: (أعوذ أن أضطهد والأمر لك)، أي: أقهر، يقال: ضهدته فهو مضهود ومضطهد: أي مقهور، والطاء بدل من تاء الافتعال»^(٢). وتارة يأتي به بعد الحديث كقوله في مادّة (دقع): «في الحديث: (لا تحلّ الصدقة إلّا في دينٍ موجه أو فقيرٍ مدقع)، ومثله في الدعاء: (وأعوذ بك من فقيرٍ مدقع) أي: شديد يفضي بصاحبه إلى الدّعاء وزان حمراء، أعني: التراب، يقال: دقّع الرجل بالكسر- يدقع: أي لصق بالتراب، فيكون المدقع هو الذي لا يكون عنده ما يتّقي به التراب»^(٣).

أمّا الشعر العربيّ، فإنّه وإن كان الاستشهاد به قليلاً في (مجمع البحرين) غير أنّه لم يكن مهملاً، فقد استعان الطريحيّ به في بيان المادّة اللغويّة، كما في مادّة (صمم)، إذ قال: «يقال: صَمِمْتُ الأذنُ صَمًّا من باب تَعَبَ: بطل سمعها، وقد يُسند الفعل إلى الشخص أيضاً، فيقال: صَمَّ يَصُمُّ صَمًّا، قال الشاعر:

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أُذُنُ

والمراد: صغوا بأذانهم، وأعطوا الأذن»^(٤)، وقوله في مادّة (شعب) إذ قال: «و(المشعب) كمنهوب: الطريق، ومنه قول الكُميت:

وَمَا لِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً وَمَا لِي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبٌ^(٥)»

وقد يجيء به على سبيل الاستطراد والحديث، كقوله في مادّة (تحف): «وفي

(١) مجمع البحرين: ٨٩ / ٣.

(٢) مجمع البحرين: ٩١ / ٣.

(٣) مجمع البحرين: ٣٢٦ / ٤.

(٤) مجمع البحرين: ١٠٢ / ٦.

(٥) مجمع البحرين: ٩٠ / ٢.

الحديث: (تحفة المؤمن الموت) ... ما أنشده بعضهم:

قد قلتُ إن مدحوا الحياة وأسرفوا في الموتِ ألف فضيلةٍ لا تُعرَف
منها أمانٌ عذابه بلقائه وفراقُ كُلِّ معاشرٍ لا ينصفُ^(١)

وبهذا نخلصُ إلى أنَّ الطريحيَّ اعتمد على نوعين من المصادر: أوْلهما: معاجم اللغة والغريب، وثانيهما: النصوص اللغوية من القرآن والحديث الشريف، والنثر ومنه الدعاء، والشعر، وإن كان اعتماده على الأخيرين أقلَّ لا سيَّما الشعر.

طريقة تقديم المادة المعجمية:

ونلاحظ أنَّ الطريحيَّ يقدِّم لنا المادةَ المعجميةَ بطريقةٍ تخصُّه؛ حيث يبدأ بذكر المادة، ثمَّ بعد ذلك يأتي بنصِّ قرآنيٍّ يبيِّن الاستعمال، ثمَّ يعطف على ذلك بالحديث الشريف، مع التركيز على الضبط الصحيح في النطق، ثمَّ ينقل من بعض المصادر، ومثال ذلك قوله في مادة (عزب):

«قوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣] أي: لا يغيب عن عمله ولا يخفى، يقال: عَزَبَ الشيءُ -من باب قَعَدَ- بَعَدَ عَنِّيَ وغاب، وعَزَبَ -من بابي قتل وضرب- غاب وخفي، وعن الصادق (عليه السلام) في (لا يعزُب) الآية، قال: (أي بالإحاطة والعلم لا بالذات، وإذا كان بالذات لزمها الحواية)، وفي الحديث: (شرُّ موتاكم العزَّاب) بضمَّ المهملة وتشديد المعجمة، وهم الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء، يقال: عَزَبَ الرجلُ يعزُبُ من باب قَتَلَ عَزْبَةً كغرفة: إذا لم يكن له أهل، فهو عَزَبَ بفتحتيْن، والعزبة: التي لا زوج لها، والاسم العزبة كغرفة، وأعزب لا أهل له يحتمل التأكيد أو لا أقارب له، وفي الخبر: (إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان يعطي الأهل حظيْن والأعزب حظًّا)، والأهل الذي له زوجة وعيال، والأعزب الذي لا زوجة له، وقال في النهاية: (وهي لغة رديئة، واللغة الفصحى عزب، يريد بالعتاء نصيبهم من الفياء)، واعزَّب ثمَّ

(١) مجمع البحرين: ٢٩/٥.

اعزَّبُ على الأمر، أي: ابعد نفسك عن الأمر ثم بعد»^(١).

وتارةً يبدأ بالحديث الشريف، ويشير تارةً إلى الدعاء، مع عدم إهمال الدلالات اللغوية وضبط الألفاظ، كقوله في مادة (شعث): «في الحديث: (من قَلَمَ أظفاره يوم الجمعة لم تشعث أنامله) هو من الشعث، وهو الانتشار والتفرّق حول الأظفار، كما يتشعث رأس السواك، وفي بعض نسخ الحديث: (تسعف) بالسين والفاء، وهو إن صحَّ بهذا المعنى. والشَّعَثَ بالتحريك: انتشار الأمر، يقال: (لَمَّ اللهُ شَعَثَكَ) أي: جمع أمرك المنتشر، وفي الدعاء: (تلمُّ به شَعَثِي)، أي: تجمع به ما تفرّق من أمري، و(لَمَّ اللهُ شَعَثَكُمْ) جمع أمركم. ومنه: (رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرِّ قَسَمه).

ومنه في وصفه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله: «كانوا شُعَثًا غُبْرًا» كناية عن قشْفهم، أي: ييس جلودهم وتركهم زينة الدنيا، و(الأشعث) اسم رجل، ومنه الأشاعثة، والهاء للنسب»^(٢).

وإن لم يوجد شاهد لتبيان الاستعمال السياقي للفظ من القرآن والحديث والدعاء فإنّه ينقل آراء اللغويين السابقين في معناه، كقوله في مادة (خفش): «(الخفش): وعاء المغازل، والخفش الذي في الحديث هو البيت الصغير، قاله أبو عبيدة»^(٣)، وكقوله في مادة (رند): «الرند شجر طيّب رائحته، من شجر البادية، وربما يكون العود رندًا، قاله الجوهري»^(٤).

وتارةً يجزم بكون اللفظة معرّبة، ويؤصّل لها، كقوله في مادة (نشأ): «(والنشأ) مقصور: ما يُعمل من الحنطة، فارسيٌّ معرّب»^(٥)، وكقوله في مادة (دهلن): «(الدّهليز)

(١) مجمع البحرين: ٢ / ١٢٠.

(٢) مجمع البحرين: ٢ / ٢٥٧.

(٣) مجمع البحرين: ٤ / ١٣٤.

(٤) مجمع البحرين: ٣ / ٥٥.

(٥) مجمع البحرين: ١ / ٤١٧.

بالكسر: هو ما بين الباب والدار، والجمع الدهاليز، فارسيٌّ معرَّبٌ»، وكقوله في مادة (قلد): «و(الإقليد): المفتاح، لغة يمانية، وقيل: معرَّبٌ وأصله بالرومية إقليدس، والجمع أقاليد»^(١).

وتارة لا يُشير إلى أصل اللفظة ويكتفي بأنَّها معرَّبة كقوله في مادة (جرب): «و(الجوراب): لفاقة الرجل، معرَّبٌ، والجمع جورابة والهاء للعجمة، ويقال: الجوارب أيضاً»^(٢)، وكقوله في مادة (جلب): «(الجَلَاب) كَرَمَان: ماء الورد، معرَّبٌ، قاله في القاموس»^(٣).

وأخرى يُشير إلى اللفظة المختلف في كونها معرَّبة أو هي غير ذلك، ومن ذلك في مادة (رجا): «الأرجوان، هو بضمّ همز وجيم: اللون الأحمر شديد الحمرة، قيل: هو معرَّبٌ، وقيل: الكلمة عربيّة والألف والنون زائدتان، قال الجوهري: ويُقال أيضاً: شجر له نور أحمر أحسن ما يكون، وكلّ لونٍ يشبهه فهو أرجواني، انتهى»^(٤)، وكقوله في مادة (قسطس): «(القسطاس) بالضمّ والكسر، وبهما قرأ السبعة: الميزان، أي ميزان كان، قيل: هو عربيٌّ مأخوذ من القسط: العدل، وقيل: روميٌّ معرَّبٌ، والجمع: قساطيس»^(٥).

ثمَّ إنَّه إن لم يعثر على ما يشرح به اللفظ، يصرِّح بذلك، ويستتقرِّب شرحاً له، ويذكر بعد ذلك لفظه في الحديث الشريف، كقوله في مادة (صحب): «وصاحب شاهين لم نعثر له في كتب اللغة ولا في غيرها بمعنى يوضحه، وينبغي قراءته على صيغة التثنية كما هو الظاهر من النسخ، ولعلَّ المراد بالشاه السلطان، ثم سمَّوا كل واحدٍ من الشاهين اللذين يقمر بهما بهذا الاسم، فإذا غلب أحدهما على الآخر، قال:

(١) مجمع البحرين: ٣ / ١٣٦.

(٢) مجمع البحرين: ٢ / ٢٣.

(٣) مجمع البحرين: ٢ / ٢٥.

(٤) مجمع البحرين: ١ / ١٧٩.

(٥) مجمع البحرين: ٤ / ٩٦.

مات والله شاهه، وفي الحديث: سُئِلَ عن صاحب شاهين؟ قال: الشطرنج^(١).

ونلاحظ من خلال الأمثلة السابقة، أنَّ الطريحيَّ عمل في مادَّته المعجمية بالآتي:

١. ضبط اللفظ ضبطاً صوتياً خطياً بالطرق السائدة آنذاك؛ كأن يذكر اللفظة ويقول هي بوزان كذا، أو يذكر الفعل ويقول هو من باب كذا، أو يُشير إلى حركة الحرف الأول في الكلمة، وفي الفعل بحركة العين بالضمّ أو بالكسر مثلاً، وهكذا.

٢. يحاول أن يتحقّق من كون الكلمة عربيّةً، وإن ثبت عنده بأنّها غير عربيّةٍ يحاول أن يذكر أصلها من كونها فارسيّةً أو روميّةً مثلاً.

٣. يبيّن المعلومات الصرفية الأساسية؛ كضبط عين الفعل، ومن أيِّ بابٍ هو، وطريقة جمعه، ويمرّ تارةً بالاشتقاقات إلى غير ذلك من معلومات صرفية أساسية.

٤. يشرح دلالات الألفاظ بما أُتيح له من وسائل لغويةٍ ممكنة؛ كتتبّع السياقات اللغوية المختلفة، ويدلّل على ذلك، سواء من القرآن أو الحديث، أو النثر ومنه الدعاء، أو الشعر العربيّ، أو ذكر ما كتبه اللغويّون في المعاجم وكتب الغريب.

٥. يفيد من جميع الشواهد اللغوية لتوضيح دلالات الألفاظ، وإن لم يجد ما يشرح به دلالته بحث في كتب اللغة وغيرها حتى يعثر على ما يقرب المعنى.

مدى التطابق بين المقدمة والمحتوى:

نحاول من خلال هذا الحقل أن نحدّد مدى التطابق بين المنهج الذي ذكره الطريحيّ في مقدّمته على كتابه (مجمع البحرين) بكامله، فقد علمنا أنَّ الطريحيّ جعل كتابه مرتّباً على الحرف الأخير من حروف الهجاء، وسمّى الحرف الأخير (كتاباً)، والحرف الأوّل من الكلمة (باباً)، وكما ربّما كتب على وفق حروف الهجاء كذلك صنع

(١) مجمع البحرين: ٢ / ٩٩.

في الأبواب، غير أنه نصّ في المقدمة على ضمّ (الهمزة) و(الألف) في كتابٍ واحد. وبهذا البيان كان المتوقّع أن تُختم الكتب بكتاب الياء، غير أنّ هذا لم يكن؛ فقد أسقط كتاب (الواو) و(الياء) فانتهى (مجمع البحرين) بكتاب (الهاء)، ثمّ ختمه صاحبه بنكاتٍ علميّة ذات صلة.

وقد لاحظ أحد الباحثين - من خلال تتبّعه لأبواب كلّ كتابٍ في (المجمع) - أنّ أكثر الكتب في (مجمع البحرين) جاءت ناقصة الأبواب، فيما عدا كتاب (الهمزة والألف) و(الميم) و(النون).^(١)

وحاول الدكتور خالد الشناوي أن يتعرّف على سبب هذا النقص من خلال النظر والمقارنة بين الأبواب والفصول الساقطة في معجمات مدرسة الصحاح، فقارب ما سقط عند الطريحيّ وما سقط عند الجوهريّ؛ واستنتج أنّ الطريحيّ اقتفى أثر الجوهريّ في عمليّة التبويب للمادّة اللغويّة؛ فمثلاً تبع الطريحيّ الجوهريّ في إسقاطه لبابي (الفاء) و(الميم) من كتاب الباء، وهذا يدلّ على وحدة الهدف بينهما؛ إذ ركّز الجوهريّ على صحّة الاستعمال وضراره الطريحيّ في ذلك؛ لأنّه كان يسعى لبناء معجميّ لغويّ استعماليّ مستقّيّ من حديث الإماميّة.

تحليل الموادّ اللغويّة وطبيعتها [ثلاث موادّ مختارة]:

المادّة الأولى:

وهي مادّة [حدد]، ونجدها في كتاب الدال، باب الحاء، ثمّ الدال، وتبدأ بقوله:

«قوله تعالى: ﴿يَحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٥] أي: يحاربون الله ورسوله ويعادونهما أن يتجاوزوهما، وقيل: يجانبون الله ورسوله، أي: يكونون في حدٍّ والله ورسوله في حدٍّ قوله: حادّ الله، أي: شاقّ الله، أي عادي الله وخالفه، وقوله تعالى: ﴿تَلِكْ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] حدود الله محارمه ومناهيه؛ لأنّه

(١) ينظر صناعة المعجم العربيّ بين المنهج والمستعمل، قراءة في مجمع البحرين لفخر الدين الطريحيّ، مجلة آداب البصرة، العدد ٦٩، ص ١٢٣.

ممنوع منها، ومثله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال الشيخ أبو علي: (في قوله ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى الأحكام المذكورة في اليتامى والمواريث، وسماها حدوداً؛ لأن الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها. قوله: ﴿فَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] أي: حادٌّ، وصيغٌ للمبالغة»^(١).

فهنا نجد الطريحي حدّد الاستعمالات القرآنيّة لهذه المادّة؛ فمنها الحرب والعداء، ومنها المخالفة والتجاوز، ومنها المبالغة من الحدّة، ونجد هنا الطريحي يستعين في بيان الدلالة بتفسير القرآن، فقد صرّح بمن نقل عنه وهو (أبو علي).

نُعمّ يقول: (وفي الحديث: (إنّ الله جعل لكلّ شيءٍ حدّاً، وجعل على من تعدّى الحدّ حدّاً) أي: عذاباً، وذلك كحدّ القاذف والزاني، وسُمّي حدّاً لمنعه من المعاودة، وأصله مصدر، وفيه: (إقامة الحدّ أنفع في الأرض من المطر أربعين صباحاً)، و(الحدود الشرعيّة) عبارة عن الأحكام الشرعيّة؛ مثل: حدّ الغائط كذا، وحدّ الوضوء كذا، وحدّ الصلاة كذا، ومنه قوله (عليه السلام): (للصلاة أربعة آلاف حدّ)، وقد حصرها الشهيد الأوّل (رحمه الله) في رسالته الفرضيّة والنفليّة بما يبلغ العدد المذكور، فمن أراد ذلك وقف عليه. ومنه: (أقمتم حدوده) أي: أحكامه وشرائعه، و(يضرب الحدود بين يدي الإمام) أي: يُقيّمها، والحدّ: الذنب، ومنه أصبتُ حدّاً، أي: ذنباً يُوجب الحدّ، ويحدّ لي حدّاً: أي يعيّن لي شيئاً ويبيّنه لي.

وحدّ السيف وغيره من باب ضرب، والمحادّة المعاودة، ومنه: (إنّ قوماً حدّونا لما صدقنا) أي: عادونا وخالفونا. والحدّ اسم محمّد صلى الله عليه وآله في توراة موسى (عليه السلام)؛ لأنه يحاد من حدّ دينه قريباً كان أو بعيداً، وفي الحديث: (لا يزال الإنسان في حدّ الطائف ما فعل كذا) يعني ثوابه ثواب الطائف فيما فعل.

وفي حديث وصفه تعالى: (منفيٌّ عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود)، أي: لا يوصف بحدّ يتميّز به عن غيره، وفي كلامهم (عليه السلام): (هو الخالق للأشياء لا حاجة، فإذا كان لا

(١) مجمع البحرين: ٣/ ٣٣.

لحاجة استحال الحد؛ لأنه إذا نُسب إليه الحد فقد ثبت احتياجه إليه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والحدُّ: الحاجز بين الشيئين، ومنه حدُّ عرفات، وهو من المأزمين إلى أقصى الموقف، وعن الصادق عليه السلام: (حدُّ عرفة من بطن عرنة وثوية ونمرة إلى ذي المجاز وخلف الجبل موقف إلى وراء الجبل)، وجمع الحدِّ حدود، ومنه: حدود الإيمان، ويجمعها الشهادتان، والإقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من عند الله (عز وجل)، وصلاة الخَمْس، والزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، والولاية.

والحداد: ترك الزينة، ومنه الحديث: (الحداد للمرأة المتوفى عنها زوجها)، ومنه: حدَّت المرأة على زوجها تحدًّا حدادًا بالكسر، فهي حادٌّ بغير هاء: إذا حزنت عليه ولبست ثياب الحزن وتركت الزينة، وكذا أهدت إحدادًا فهي مُحدِّ ومُحدَّة، وأنكر الأصمعيّ الثلاثي واقتصر على الرباعي، وفي الحديث: (ليس لأحدٍ أن يحدَّ أكثر من ثلاثة أيامٍ إلا المرأة على زوجها حتى يقضى عدتها).

والحدَّة: ما يعتري الإنسان من النزق والغضب، يقال: حدَّ يحدُّ حدًّا: إذا غضب، ... وعن الباقر عليه السلام، وقد سئل: (ما بال المؤمن أحد شيء؟ فقال: لأنَّ عزَّ القرآن في قلبه، ومحض الإيمان في صدره، وهو عبد مطيع لله ولرسوله مصدِّق) وربما كانت حدته على ما خالف المشروع ولم يمتثل أمر الشارع لا مطلقًا.

والحديد: معروف، ومنه خاتم حديد، واسم الصناعة الحدادة بالكسر، وابن أبي الحديد في الأصل معتزليّ يستند إلى المعتزلة ...^(١).

من خلال النصّ الآتي نجد ما يأتي:

١. ذكر الطريحي لمادّة (حدد) صيغًا متنوعة؛ منها: يحدّون / حدود / حادٌّ / حديد / حدّ (فعل ماضٍ) / حدّ الشيء (اسم) / الحدُّ / الحداد / حادٌّ (صفة لمؤنث) / حدّت المرأة / أهدت / إحدادًا / حدّت / يحدُّ / الحديد / الحدادة.

(١) مجمع البحرين: ٣/ ٣٦.

٢. كثرت الأحاديث في هذه المادّة؛ فأكثر الاستعمالات أردفها الطريحي بالأحاديث، وهذا يعني أنّ الطريحي ما كان يعتمد النقل الحرفي عن المعاجم العربيّة السابقة عليه، وثانيًا نجد أنّ النصّ زاخر بالأحاديث لاسيما تلك التي ترويتها الإماميّة، وذلك يعني أنّ الطريحي اعتمد على جهده في استخراج الأحاديث وتصنيفها وفقًا لصيغ المادّة المعجميّة واستعمالاتها، وبمقارنة بين ما كتبه الطريحي وما كتبه ابن الأثير نجد أنّ الأحاديث التي ذكرها الطريحي مختلفة في كثيرٍ منها عن الأحاديث التي ذكرها ابن الأثير^(١)، غير أنّ الطريحي أهمل معنى الحلق وهو (الاستحداد) بينما ذكره ابن الأثير، والحال أنّ هناك أحاديث تدلّ على هذا الاستعمال، فقد ذكر ابن الأثير لذلك ثلاثة من الأحاديث؛ منها: النبويّ (أمهلوا كي تمتشط الشعثة وتستجدّ المغيبة)، واختلفت الملاحظ الصرفيّة بما لا يوحي أنّ الطريحي اعتمد على ابن الأثير في ذلك.

٣. لم نجد في هذه المادّة المعجميّة إلا ثلاث إشارات لضبط النطق والخطّ للصيغ في هذه المادّة المعجميّة؛ وهي إشارته إلى أنّ الفعل (حدّ) من باب ضرب، وإشارته إلى المصدر من (حدّت المرأة على زوجها) قال: «حدادًا بالكسر، فهي حدادٌ بغير هاء»، وقوله في آخر المادّة: «واسم الصناعة [من الحديد] الحدادة بالكسر».

٤. وجدنا في المادّة المعجميّة التي بين أيدينا التوسّع في المطالب العلميّة؛ ففيها من التفسير، ومن الفقه، ومن علم الكلام، ما يوحي للقارئ أنّه بإزاء دائرة مصغّرة من المعارف.

٥. زخرت هذه المادّة بذكر أمكنة كثيرة؛ منها: (الطائف)، (عرفات)، (المأزمين)، (موقف عرفات)، (عرفة = عرفات)، (بطن عرنة)، (ثوية)، (ثمرة)، (ذي المجاز)، وكلّها أسماء مناطق في الحجاز متعلّقة بفريضة الحجّ.

٦. ذُكرت عدّة أعلامٍ في هذه المادّة المثبتة؛ كأبي عليّ الفضل بن الحسن

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٣٥٣.

الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) وهو من مفسري الإمامية في القرن السادس الهجري، والشهيد الأول الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي العاملي (ت ٧٨٦هـ) وهو من أبرز الفقهاء الإمامية، وابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) وهو من أعلام المعتزلة، والأصمعي (ت ٢١٦هـ) وهو من كبار اللغويين.

٧. تضمّن النصّ ملاحظ صرفيّة؛ كقوله في أصل تسمية الحدّ: «وسُمّي حدًّا لمنع من المعاودة، وأصله مصدر»، وإشارته إلى الجمع في كلمة (حدّ)، حيث قال: «وجمع الحدّ حدود، ومنه: حدود الإيمان»، وبيان المصدر في قوله: «حدّت المرأة... تحدّد حدادًا بالكسر»، وبيان صيغة الفعل والإشعار بالخلاف: «أحدّت إحدادًا فهي مُحدّدٌ ومُحدّدة، وأنكر الأصمعيّ الثلاثي واقتصر على الرباعي».

المادّة الثانیة :

مادّة [شيخ]، ونجدها في كتاب الخاء، باب الشين، ثمّ الياء، وتبدأ بقوله:

«قوله تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، (هذا) مبتدأ، و(بعلي) خبره، و(شيخًا) منصوب على الحال، والعامل فيه الإشارة أو التنبية، وقرأ ابن مسعود وأبى: (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ) بالرفع. قال النحاس: (هذا) مبتدأ وبعلي بدل منه وشيخ خبر أو بعلي وشيخ خبران لهذا كما في الرُّمَّان حلو حامض).

والشَّيخ في الحديث هو موسى بن جعفر (عليه السلام)، وربّما أُطلق على الصادق (عليه السلام) كما في رواية زرارة ومحمّد بن مسلم قالوا: (بعثنا إلى الشيخ ونحن بالمدينة)، والمراد به الصادق (عليه السلام) كما صرّح به في بعض الأخبار.

والشيخ: من جاوز سنّاً وأربعين سنةً، والشاب من تجاوز البلوغ إلى ثلاثين سنة، وما بينهما كهل، فالشيخ فوق الكهل، والجمع شيوخ وأشياخ.

وشِيخان بالكسر والمشِيخة اسم جمع الشيخ والجمع المشايخ، وفي الصحاح: جمع الشيخ شيوخ وأشياخ وشِيخة وشِيخان ومشيخة ومشايخ وشيوخاء بالمد^(١).

(١) مجمع البحرين: ٢ / ٤٣٦.

ومن خلال النص السابق نلاحظ الآتي:

١. ذكر الطريحي لمادة (شيخ) صيغاً متنوعة، منها: الشيخ / مشيخة / مشايخ / شيوخ / أشياخ / شيخة / شيخان / شيوخاء.
٢. بدأ الطريحي المادة بالاستعمال القرآني، ولم يذكر الاستعمال في الحديث إلا على جهة الاصطلاح، ولم يتوافق هذا مع منهجه الذي أراد أن يتتبع فيه مداليل الألفاظ على وفق حديث الإمامية.
٣. لم يكثر الطريحي الاستشهاد بالحديث كما فعل في المادة السابقة؛ بل لم يستوعب الطريحي هذه المادة وما فيها من الأحاديث عند الإمامية، ومنها:
 - أ. ما روي في الحديث: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخُ زَانَ وَمَلِكُ جَبَّارٌ وَمَقْلٌ مُحْتَالٌ»^(١).
 - ب. وروي عن الصادق عليه السلام: «شَابٌ سَخِيٌّ مُرَهَّقٌ فِي الذُّنُوبِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ شَيْخٍ عَابِدٍ بِخَيْلٍ»^(٢).
 - ج. وفي حديث عمر بن يزيد: «فَأَمَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَعَقَّقْتُ عَنْ نَفْسِي وَأَنَا شَيْخٌ. وَقَالَ عُمَرُ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: كُلُّ امْرِئٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيْقَتِهِ»^(٣)، وهذا الحديث استشهد به الطريحي في مادة (عقق)، ويمكن الاعتذار للشيخ الطريحي بأن هذه المادة واضحة الاستعمال؛ فصرف النظر عن الاستشهاد بالحديث عنها بعد أن استشهد بالقرآن الكريم.
٤. أشار إلى قراءةٍ مختلفة لآية التي صدر بها المادة، وهي قراءة ابن مسعود وأبي، وهذا يعني أن الطريحي لم يستثن القراءات القرآنية في كتابه، والمعتمد في نسبة هذه القراءة لابن مسعود (ت٣٢هـ) وأبي بن كعب (ت٣٠هـ) هو الأخفش سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ)؛ ذلك أن الفرء نقلها عن ابن مسعود

(١) الكافي: محمد بن يعقوب الكليني: ٢ / ٣١١، ر٤.

(٢) الكافي: ٤ / ٤١، ر٤.

(٣) الكافي: ٦ / ٢٥، ر٣.

وحده^(١).

٥. لم نجد في هذه المادة المعجمية إلا ثلاث إشارات لضبط النطق والخط لصيغ هذه المادة المعجمية، وهي إشارته إلى جمع (شيخان) بالكسر، وشيوخاء بالمد، وكذلك في حديثه عن إعراب الآية التي صدر بها المادة.

٦. لم نلاحظ توسعاً في المادة المعجمية؛ إلا إذا حسبنا ذكره للقراءات القرآنية، وتحديدده لاستعمال (الشيخ) في اصطلاح المحدثين الإمامية توسعاً.

٧. نجد أن الطريحي حدّد دلالة (الشيخ) من جهتين: الأولى الجهة اللغوية وتحريّ فيها الدقّة، والجهة الثانية جهة المصطلح في الحديث عند الإمامية.

٨. بالمقارنة بين الطريحي وابن الأثير مثلاً نجد أن الطريحي لم يذكر سوى حديث واحد، وأمّا ابن الأثير^(٢) فذكر في المقام حديثين؛ أولهما حديث ذكر فيه الجمع (شيخان قريش)، والثاني: في حديث أحد ذكر موضع معسكر الرسول ﷺ بالمدينة ليلة خرج إلى أحد، واسمه (شيخان) بفتح الشين وكسر النون؛ ولم يتعرّض لهما الطريحي.

٩. نجد في هذه المادة اسم مكان واحد، وهي: (المدينة)، والمقصود بها المدينة المنورة.

١٠. ذكرت عدّة أعلام في هذه المادة المثبّنة؛ كعبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ)، وأبي بن كعب (ت ٣٠هـ)، وهم من القراء السبعة، والنخّاس (ت ٣٣٨هـ) وهو من النحويين المعروفين، ووزارة بن أعين (ت ١٥٠هـ)، ومحمّد بن مسلم (ت ١٥٠هـ)، وهما من أعلام وفقهاء أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، ورواة حديثهما المعروفين عند الشيعة الإمامية.

١١. احتوى النصّ على ملاحظ نحوية؛ فقد اهتمّ الطريحي فيه بذكر إعراب الآية، وتوجيه القراءة بالإعراب، وأفاد الطريحي من كتاب إعراب القرآن للنخّاس في

(١) ينظر إعراب القرآن الكريم: أبو جعفر النخّاس: ٢ / ٢٩٤.

(٢) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٥١٧.

هذا الجانب.

١٢. اهتمَّ النصُّ بالملاحظ الصرفية؛ فقد ذكر عدَّة جموعٍ لمادَّة (شيخ)، واهتمَّ بتأصيل النقل بذكره معتمداً على صحاح الجوهريِّ.

١٣. اعتمد الطريحيُّ في هذه المادَّة على كتابين، الأوَّل كتاب إعراب القرآن لأبي جعفر النخَّاس أو (ابن النخَّاس)، والثَّاني الصحاح للجوهريِّ، وعند مراجعة كلا الكتابين، وجدنا الطريحيُّ نقل منه بانتقاء المهم فقط، فهو لم يذكر الفوائد الأخرى التي نقلها النخَّاس عن غيره، ولم يذكر الشاهد الشعريِّ^(١) الذي استشهد به الجوهريُّ لبيان صحَّة مجيء وصف المرأة بـ (شيخة)، فاكتمت الطريحيُّ بنقل الخلاصة دون زيادة.

المادَّة الثالثة:

مادَّة [عشق]، ونجدها في كتاب القاف، باب العين، مع مراعاة حرف الشين، وتبدأ بقوله:

«في الحديث ذكر العشق، وهو تجاوز الحدِّ في المحبَّة. يُقال: عَشِقَ عَشَقًا، من باب تَعَبٍ والاسم العِشْقُ بالكسر. ويُقال: عَشِقَهُ عِشْقًا مثل: عَلِمَهُ عَلِمًا.

وعن العَرَّالِيِّ: معنى كون الشيء محبوباً هو ميل النفس إليه، فإنَّ قوَى الميل سُمِّيَ عِشْقًا.

وعن جالينوس الحكيم: العِشْقُ من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد. وفي الدماغ ثلاث [كذا] مساكن: التخيُّل في مقدِّمه، والفكر في وسطه، والذكر في آخره، فلا يكونُ أحدٌ عاشقاً حتى إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيُّله وفكره وذكره.

فيتمتُّع من الطعام والشراب باشتغال قلبه وكبده، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيُّل والذكر والفكر للمعشوق فتكونُ جميع مساكن النفس قد اشتغلت به، ومتى لم يكن

(١) وهو بيت عبيد بن الأبرص، ينظر تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح): الجوهريُّ: ١/ ٤٢٥.

كذلك لم يكن عاشقًا. فإن أُلهي العاشق خلت هذه المساكن ورجع إلى الاعتدال.

ويقال رجل عاشق وامرأة عاشقة»^(١).

ونلاحظ الآتي:

١. ابتدأ الطريحي في ذكره العشق باستعمال الحديث الشريف، ثم فسّره بمدلوله اللغوي، وانتقل بعد ذلك إلى التفسير الاصطلاحي عند الحكماء وأهل النظر في فلسفة الأخلاق، ومعنى ذلك أنّ الطريحي خالف منهجه الذي اختطّه لنفسه؛ فكان عليه أن يركّز على المدلول اللغوي دون بيان المعنى عند أهل الاصطلاح، إلا أنّ هذه الملاحظة قد تندفع بما بيّناه من كون الطريحي لم يغفل المادّة الموسوعيّة في مجمعه، وإن كان عقده لبيان غريب الحديث، إلا أنّ ذكره للمعنى عند أهل الاصطلاح يشكّل أهميّة كبرى في فهم النصّ.

٢. أشار الطريحي إلى أنّ العشق ذُكر في الحديث بمعنى تجاوز الحدّ في المحبّة، ولم يحدّد لنا الاستعمال، ولو ذكر حديثاً أو حديثين لكان أشمل؛ لاسيّما أنّ منظومة الحديث عند الإماميّة - موضع نظر الطريحي بشكل خاصّ - لم تخلّ من هذه المادّة، وفيما يأتي بعض الأحاديث التي استعملت العشق باستعمالاتٍ دلاليّة مختلفة:

- ما روي في الحديث: «أفضل الناس من عشق العبادّة فعانقها وأحبّها بقلبه، وباشرها بجسده وتفرّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسرٍ أم على يسرٍ؟»^(٢) وهو مروى عن الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
- وفي الحديث: «عن محمّد بن سنان، عن المفصل بن عمر، قال: سألتُ أبا عبد الله [الصادق] عليه السلام عن العشق، قال: قلوب خلت من ذكر الله، فأذقتها الله حبّ غيره»^(٣).

(١) مجمع البحرين: ٢١٥ / ٥.

(٢) الكافي: ٨٣ / ٢، ر٣.

(٣) الأمالي: الشيخ الصدوق: ٧٦٥، ر١٠٢٩.

٣. أشار الطريحيّ ضمناً إلى أنّ هناك ربطاً دلالياً بين العشق والحبّ، فإنّ العشق إفراط في الحبّ، ومن ثمّ فالحبّ أعمُّ من العشق، والعشق أخصُّ من الحبّ، وبهذا يستعين الطريحيّ بالعموم والخصوص لبيان اللفظة.

٤. ذكر الطريحيّ في هذه المادّة علمين، أولهما جالينوس (ت٢١٦م) الفيلسوف والحكيم اليونانيّ، والثاني: أبو حامد الغزاليّ (ت٥٠٥هـ)، وهو دالٌّ على التوسّع في المادّة المعجميّة، الأمر الذي يجعل مجمع البحرين بذرةً لدائرة معارف مصغّرة.

٥. بالمقارنة بين الطريحيّ وابن الأثير، نجد أنّ ابن الأثير أهمل ذكر هذه المادّة في (النهاية)، وكذلك فعل ابن قتيبة في (غريب الحديث)، وكذلك في كتاب الحربيّ.

٦. نجد اهتمام الطريحيّ بتحديد النطق؛ فقد ذكر أنّ الفعل (عشق) من باب (تعب) أي بكسر العين، وتنبهه على أنّ (العشق) بالكسر، وقوله: (عَشِقَهُ عَشَقًا مثل عِلِمَهُ عِلْمًا).

٧. تنوّعت الصيغ لهذه المادّة، فقد جاءت على النحو الآتي: عَشِقَ (فعل ماضٍ) / العِشْقُ (مصدر) / عاشق وخصّها الطريحيّ بالرجل مع جواز قول ذلك للمرأة على قول الفراء / عاشقة، ولكنّه لم يذكر صيغاً أخرى، ك: عشيق (بمعنى كثير العشق) / عَشِيقُ (صيغة مبالغة) / التعشُّق (تكلف العشق)^(١).

٨. لم يذكر الطريحيّ استعمال هذه المادّة في الدعاء بوصفه نوعاً من النثر، وفي الشعر الذي يزخر بهذه المادّة، ولا أعلم لماذا أعرض الطريحيّ عن هذين الاستعمالين؟ وربما يكون إعراضه لنكتةٍ يروم تحقيقها كالاختصار.

ظواهر معجميّة :

نذكر بعض الظواهر المعجميّة التي لحظناها في مجمع البحرين:

الموسوعيّة :

دلّلنا على موسوعيّة الطريحيّ من خلال تحليلنا لثلاث موادّ معجميّة، فقد وجدنا

(١) ينظر الصحاح: ٤ / ١٥٢٥، باب القاف فصل العين مع مراعاة الشين.

الطريحي يستطرد في المادّة المعجميّة، ولزيادة في البحث والتنقيب نذكر هذه المظاهر:

١. التعريف بالبلدان:

وندلّ على ذلك بثلاثة نصوص:

١. قوله في مادّة (طبر): «و(طَبْرِيَّة) محرّكة، قرية بواسط وقصبة بالأردن، والدراهم الطبريّة منسوبة إليها، وقد يُقال في النسبة إليه الطبرانيّ على غير قياس»، إلى قوله: «و(طَبْرِسْتان) بفتح الباء وسكون السين: اسم بلدة من بلاد العجم، وكسر الراء لالتقاء الساكنين، وهي مرّبة من كلمتين، ويُنسب إلى الأوّل فيقال: طَبْرِيٌّ»^(١).

٢. وقوله في مادّة (خطط): «و(الخِطُّ): موضع باليمامة، وهو خِطٌّ هَجَرَ، تنسبُ إليه الرماح الخِطِّيَّة؛ لأنها تُحمل من بلاد الهند فتقوم به، فتنسب إليه على لفظه، فيقال: رماح خِطِّيَّة»^(٢).

٣. وقوله في مادّة (شطا): «و(شطا) بغير همز: قرية بناحية مصر، تُنسبُ إليها الثياب الشطويّة، ومنه حديث أبي الحسن عليه السلام: (إِنِّي كَفَنْتُ أَبِي فِي ثَوْبَيْنِ شَطَوِيَيْنِ)»^(٣)، وشَطًا قريةٌ معروفة بدمياط في مصر، وذكرها الحمويّ في (معجم البلدان) فقال: «شطا: بالفتح، والقصر، وقيل: شطا، بليدة بمصر، يُنسب إليها الثياب الشَطَوِيَّة، قال الحسن بن محمّد المهلبيّ: على ثلاثة أميالٍ من دميّاط على ضفة البحر الملح، مدينة تُعرف بشطا، وبها ودمياط يُعمل الثوب الرفيع الذي يبلغ الثوب منه ألف درهم ولا ذهب فيه»^(٤).

(١) مجمع البحرين: ٣ / ٣٧٦.

(٢) مجمع البحرين: ٤ / ٢٤٥.

(٣) مجمع البحرين: ١ / ٢٤٦.

(٤) معجم البلدان: ياقوت الحمويّ: ٣ / ٣٤٢.

٢. التعريف بالأعلام:

وندلّل على ذلك بثلاثة نصوص:

١. قوله في مادّة (صحب): «(والصاحبُ: هو إسماعيل بن عبّاد، صحب ابن العميد في وزارته وتولّأها بعده لفخر الدولة بن بويه، ولقب بالصاحب الكافي، ويقال: هو أستاذ الشيخ عبد القاهر، وكتبُ الشيخ مشحونة بالنقل عنه، جمع بين الشعر والكتابة وقد فاق فيهما أقرانه، قيل كان الصاحب يكتب كما يُريد والصابي كما يؤمر ويُرَاد، وبين الحاليتين بَوْن بعيد. قال الشهيد الثاني: (وأكثر ما بلغنا عن أصحابنا أنّ الصاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عبّاد لما جلس للإملاء حضر خلق كثير، وكان المستملي الواحد لا يقوم بالإملاء حتى انضاف إليه ستة كلّ يبلغ صاحبه) انتهى، وحكي عن الصاحب بن عبّاد (رحمه الله) أنه بعث إليه بعضُ الملوك يسأله القدوم عليه، فقال له في الجواب: أحتاج إلى ستين جملاً أنقل عليها كتب اللغة التي عندي»^(١).

٢. قوله في مادّة (فيد): «(والمفيد: لقب الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، شيخ الشيخ الطوسي، قال ابن إدريس في آخر السرائر في ترجمة المفيد: (وكان من أهل عُكْبُر في موضع يعرف بسُويقة، وانحدر مع أبيه إلى بغداد، وبدأ يقرأ العلم على عبد الله المعروف بالجعل)»^(٢).

٣. قوله في مادّة (سلر): «(سلار بن عبد العزيز الديلمي، أبو يعلى، شيخنا المقدم في الفقه والأدب وغيرهما، ثقة وجه، له المُقْنَع في المذهب، والتقريب في أصول الفقه، والمراسم في الفقه، والردّ على أبي الحسن البصريّ في نقض الشافي، والتذكرة في حقيقة الجوهر، قرأ على المفيد والسيد المرتضى) كذا ذكره العلامة [الحليّ] **رحمته** في الخلاصة، وكان من طَبْرِستان، وكان ربما يدرس نيابة عن السيّد، وحكى أبو الفتح بن جنّي قال: (أدركته وقرأت عليه، وكان من

(١) مجمع البحرين: ٢ / ٩٨.

(٢) مجمع البحرين: ٣ / ١٢٤.

ضعفه لا يقدر على الإكثار من الكلام فكان يكتب الشرح في اللوح فيقرؤه، وأبو الصلاح الحلبي قرأ عليه، وكان إذا استفتي من حلب يقول عندكم التقى، وأبو فتح الكراحي قرأ عليه وهو من ديار مصر^(١).

٣. الفوائد العلمية المتنوعة:

وللتدليل على ذلك سنقسم هذه الفوائد إلى ما يأتي:

من التفسير:

- كقوله في مادة (عشر): «قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أي: يا جماعة الجن قد استكثرتم ممن أضللتموه من الإنس، أي: من إغواء الإنس وإضلالهم، نقلًا عن ابن عباس...»^(٢).

- وقوله في مادة (وقا): «قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، قال الشيخ أبو علي في وجه ثلاثة: (أحدها) - وهو أحسنها - أن معناه أن يطاع الله فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام، و(ثانيها) اتقاء جميع معاصيه، عن أبي علي الجبائي، و(ثالثها) أنه المجاهدة في الله، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، وأن يقام له بالقسط في الخوف والأمن، عن مجاهد»^(٣).

- وقوله في مادة (كبد): «قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]؛ أي: في نصبٍ وشدة، عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن قال: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة»^(٤).

(١) مجمع البحرين: ٣ / ٣٣٦.

(٢) مجمع البحرين: ٣ / ٤٠٤.

(٣) مجمع البحرين: ١ / ٤٤٨.

(٤) مجمع البحرين: ٣ / ١٣٥.

من التاريخ:

١. كقوله في مادة (نمر): «وغزوة أنمار كانت بعد غزوة بني النضير، ولم يكن فيها قتال، ونقل عن المطرزي أن غزوة أنمار هي غزوة ذات الرقاع»^(١).
٢. وقوله في مادة (بوك): «ومنه غزوة تبوك، وهي غزوة غزاها رسول الله ﷺ في تسع من الهجرة، وأقام بها عدة أيام وصالح أهلها على الجزية»^(٢).
٣. وقوله في (حزب): «ويوم الأحزاب: يوم اجتماع قبائل العرب على قتال رسول الله ﷺ وهو يوم الخندق، فأحزاب عبارة عن القبائل المجتمعة لحرب رسول الله ﷺ وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش، ومن كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان، وغطفان في ألف، وهوازن وبني قريضة والنضير»^(٣).

من الفقه:

١. كقوله في مادة (ركع): «قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] أي: مع المسلمين؛ لأن اليهود لا ركوع لهم، قيل: الأولى حمل الآية على الأمر بصلاة الجماعة، فتكون إما وجوباً كما في الجمعة والعيدين، أو استحباباً كما في باقي الصلوات الواجبة، وهو قول أكثر المسلمين، وقول أحمد بوجوبها على الكفاية - محتجاً بأنه ﷺ توعد جماعة تركوها بإحراق بيوتهم - لا يدل على مطلوبه؛ لاحتمال اعتقادهم عدم المشروعية، أو إصرارهم على ترك السنن، أو على شدة الاستحباب الذي لا نزاع فيه»^(٤).
٢. وقوله في مادة (صلا): «واختلف في وجوب الصلاة على محمد ﷺ في الصلاة: فذهب أكثر الإمامية وأحمد والشافعية إلى وجوبها فيها، وخالف أبو حنيفة ومالك في ذلك ولم يجعلها شرطاً في الصلاة، وكذلك اختلف في إيجابها عليه

(١) مجمع البحرين: ٣/ ٥٠٣.

(٢) مجمع البحرين: ٥/ ٢٦٠.

(٣) مجمع البحرين: ٢/ ٣٩.

(٤) مجمع البحرين: ٤/ ٣٤٠.

في غير الصلاة؛ فذهب الكرخي إلى وجوبها في العمر مرة، والصحاوي كلما ذكر واختاره الزمخشري، وكذلك ابن بابويه من فقهاءنا وهو قوي^(١).

٣. وقوله في مادة (عرف): «وتعريف اللقطة: الإعلام بها، وكيفيته على ما ذكره فقهاء الفريقين أن تعرفها أسبوعًا، في كل يوم مرة، ثم ثلاثة أسابيع كل أسبوع مرة^(٢)».

من الطب:

١. كقوله في مادة (معا): «وعن أهل الطب: لكل إنسان سبعة أمعاء: المعدة، وثلاثة متصلة بها رقاق، ثم ثلاث غلاظ^(٣)».

٢. قوله في مادة (فلج): «الفالج: داء معروف يحدث في أحد شقي البدن طولًا فيبطل إحساسه وحركته، وربما كان في الشقين ويحدث بغتة، وفي كتب الطب أنه في السابع خطر، فإذا جاوز السابع انقضت حدته، فإذا جاوز الرابع عشر صار مرضًا مزمنًا^(٤)».

٣. وقوله في (حكك): «والحكة بالكسر: داء يكون في الجسد، وفي كتب الطب: هي خلط يحدث تحت الجلد ولا يحدث منه مدة بل شيء كالنخالة وهو سريع الزوال^(٥)».

المظاهر الصرفية:

من الظواهر المهمة في (مجمع البحرين) كثرة الملاحظ الصرفية والأحكام ومنها:

١. تفسيره لنكتة استعمال الصيغ الصرفية:

كقوله في مادة (صبر): «قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:

(١) مجمع البحرين: ١ / ٢٦٨.

(٢) مجمع البحرين: ٥ / ٩٩.

(٣) مجمع البحرين: ١ / ٣٩٥.

(٤) مجمع البحرين: ٢ / ٣٢٣.

(٥) مجمع البحرين: ٥ / ٢٦٢.

[١٣٢] أي: احمل نفسك على الصلاة ومشاقها، وإن نازعتك الطبيعة إلى تركها طلباً للراحة فافهرها، واقصد الصلاة مبالغاً في الصبر ليصير ذلك ملكةً لك، ولذلك عدل عن الصبر إلى الاصطبار؛ لأنّ الافتعال فيه زيادة معنًى ليس في الثلاثي؛ وهو القصد والتصرف، وكذلك قال [تعالى]: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ بأيّ نوعٍ كان ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] بالقصد والتصرف^(١).

٢. ذكره لأبنية الفعل وزياداته:

كقوله في مادة (ضرر): «وقال [تعالى]: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام)، يُقال: ضَرَّهُ ضِرَارًا، وأضَرَّ به إضرارًا، الثلاثي متعدّد، والرباعي متعدّد بالباء، أي: لا يضرُّ الرجل أخاه فينقصه شيئاً من حقه، والضرار فعّال من الضَّر؛ أي لا يجازيه على إضراره بإدخال الضَّرُّ عليه. والضَّرُّ فعل الواحد، والضرار فعل الاثنيين، والضرر ابتداء الفعل، والضرار الجزاء عليه»^(٢).

٣. ذكره للأوزان الصرفية وضبط حركة عين الفعل:

كقوله في مادة (طوع): «وطاعَهُ طَوْعًا، من باب قال، وفي لغةٍ من بابي باع وخاف، أي: أذعن وانقاد، والطاعة اسم، ومنه اسم الفاعل من الرباعي مطيع، ومن الثلاثي طائع»^(٣).

وقوله في مادة (صمم): «يُقال: صَمِمَتِ الأذنُ صَمًّا من باب تَعَبَ: بطل سمعها، وقد يُسند الفعل إلى الشخص أيضًا، فيُقال: صَمَّ يَصُمُّ صَمًّا، قال الشاعر:

صَمَّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أُذُنٌ

والمراد: صغوا بأذانهم، وأعطوا الأذن، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أصَمَّه الله، وربما استعمل الرباعي لازماً على قلّة، ولا يستعمل الثلاثي متعدّياً، فلا يُقال: صَمَّ الله الأذن»^(٤).

(١) مجمع البحرين: ٣/٣٥٩.

(٢) مجمع البحرين: ٣/٣٧٣.

(٣) مجمع البحرين: ٤/٣٧٣.

(٤) مجمع البحرين: ٦/١٠٢.

٤. تنبيهه على صيغ المبالغة:

كقوله في مادة (سخب): «في الحديث: (إياك أن تكون سَخَابًا)، هو بالسين المفتوحة، والباء الموحدة: صيغة مبالغة من السَخَبَ بالتحريك، وهو شدة الصوت، من تساخب القوم: تصايحوا وتضاربوا»^(١).

٥. تنبيهه على التصغير:

كقوله في مادة (درد): «يقال: دَرِدَ دَرْدًا، من باب تعب: سقطت أسنانه وبقيت أصولها، فهو أدرد، والأثنى درداء، مثل أحمر وحمراء ... ودُرِيدَ تصغير أدرد»^(٢).

وقوله في مادة: (رود): «قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [يوسف: ٣٣] قيل: هو كناية عما تريد النساء من الرجال، من قولهم: راودته على الأمرِ مُرَاوِدَةً وروادًا، من باب قاتل: طلبت منه فعله، وكأن في المرادة معنى المخادعة؛ لأن الطالب يتلطف في طلبه بلطف المخادع ويحرص حرصه.

قوله: ﴿وَأَمْهَلَهُمْ رُؤَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧] رُوَيْدًا تصغير رود، وأصل الحرف من رادِ الرِّيحِ تروُدُ رَوْدَانًا: تحرّكت حركة خفيفة، والمعنى: لا تعجل في طلب إهلاكهم؛ بل تصبر عليهم قليلًا فإن الله يجزيهم لا محالة، إما بالقتل أو الذل في الدنيا والعذاب في الآخرة»^(٣).

المظاهر النحوية:

وفي مجمع البحرين الكثير من المظاهر النحوية، ولكننا سنذكر نزرًا منها:

١. تنبيهه على (واو الثمانية) في مادة (ثلث): «قوله [تعالى]: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَبُئِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ... قال بعضهم: وهذه تسمى واو الثمانية،

(١) مجمع البحرين: ٨١ / ٢.

(٢) مجمع البحرين: ٤٥ / ٣.

(٣) مجمع البحرين: ٥٥ / ٣.

وذلك أن العرب يقول اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية؛ لأنَّ العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة، ونظيره قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقوله تعالى لأزواج النبي ﷺ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: ٥]، وقال بعضهم: هي واو الحكي فكأن الله تعالى حكى اختلافهم فتمَّ الكلام عند قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةً﴾ ثُمَّ حكى أنَّ ثامنهم كلبهم، والثامن لا يكون إلا بعد السبع، فهذا تحقيق قول المسلمين^(١).

٢. تنبيهه على جواز دخول (أل) على (بعض) و(كل)، ومجيء (الباء) للتبويض، حيث قال في مادة (بعض): «وقال الأزهري: وأجاز النحويون إدخال الألف واللام على (بعض) و(كل) إلا الأصمعي فإنه منع ذلك وقال: كل وبعض معرفة فلا يدخلهما الألف واللام؛ لأنهما في نيّة الإضافة، ومن هنا قال أبو علي: (كل) و(بعض) معرفتان؛ لأنهما في نيّة الإضافة، وقد نصبت العرب عنها الحال فقالت: مررتُ بكلِّ قائمًا، والباء للتبويض. قال في المصباح: ومعناه أنها لا تقضي العموم، فيكفي أن يقع ما يصدق عليه أنه بعض، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقالوا الباء هنا للتبويض على رأي الكوفيين، نص على مجيئها للتبويض ابن قتيبة في أدب الكاتب وأبو عليّ الفارسيّ وابن جنّي، ونقله الفارسيّ عن الأصمعيّ. وقال ابن مالك في شرح التسهيل: (وتأتي الباء موافقة من التبعية... إلى أن قال: وذهب إلى مجيء الباء بمعنى التبويض الشافعيّ وهو من أئمة اللسان، وقال بمقتضاه أحمد وأبو حنيفة حيث لم يُوجب التعميم؛ بل اكتفى أحمد بمسح الأكثر، وأبو حنيفة بمسح الربع، ولا معنى للتبويض غير ذلك)...»^(٢).

(١) مجمع البحرين: ٢/ ٢٤٠.

(٢) مجمع البحرين: ٤/ ١٩٦.

٣. تفصيله معاني الحروف ووظائفها النحوية، ومنها:

قوله في مادّة (علا): «وعلى من حروف الجرّ تكون للاستعلاء، وهو إما على المجرور وهو الغالب أو على ما يقرب منه، ومن الأوّل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونُ﴾ [المؤمنون: ٢٢]، ومن الثّاني قوله تعالى: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، وللمصاحبة ك (مع) نحو قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٧٧] وللتعليل نحو قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وتحتمل أن تكون هنا للسببية. وللظرفية نحو قوله تعالى: ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ [القصص: ١٥]، ﴿عَلَى مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وبمعنى (من) نحو قوله ﷺ: ﴿مَنْ حَفِظَ عَلَيَّ أُمَّتِي﴾ ويحتمل أن تكون هنا للتعليل، وبمعنى (الباء) نحو قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ﴾ [الأعراف: ١٠٥]. وبمعنى الحال، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [النساء: ٤٣]. وبمعنى فوق، مثل: غدوتُ مِنْ عليه. وللمجاورة نحو قوله: ﴿إِذَا رَضِيتَ عَلَيَّ بَنُو قَشِيرٍ﴾ وللاستدراك وللإضراب كما في قولهم: (فلان لا يدخل الجنة لسوء فعله على أنه لا ييأس من رحمة الله)، ويكون مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمى واحد كقوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]»^(١) إلى آخره.

ملاحظات وماخذ:

لم يخلُ كتابُ بشريٍّ من ملاحظٍ وماخذٍ، ومن هنا ننقل عدّة ملاحظٍ لوحظت^(٢) على (مجمع البحرين)، في النقاط الآتية:

١. عدم استيفاء المطلوب:

وهذا المأخذ من أهمّ المآخذ على عمل الشيخ الطريحي؛ حيث كان مرامه في

(١) مجمع البحرين: ١/ ٣٠٥.

(٢) ينظر مجمع البحرين: تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسسة البعثة: ١/ ٢٤.

(مجمع البحرين) أن يضمنه غريب الحديث من طرق الإمامية، وقد وقفنا في تحليل المواد على شيء من هذا، إلا أن الطريحي لم يبين كثيراً من الأحاديث التي تحتاج إلى بيان ما فيها من الغريب، وهو أمر التفت إليه غير واحد من العلماء وذكروه؛ منهم على سبيل المثال الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ) في لؤلؤة البحرين حيث قال: «ومن مصنّفاته [أي: الطريحي] كتاب (مجمع البحرين ومطلع النيرين) في تفسير غريب القرآن والأحاديث التي من طرفنا؛ إلا أنه لم يحط بها تمام الإحاطة كما لا يخفى على من تتبّعها»^(١)، وهذه الشهادة لم تكن صادرة من الشيخ يوسف إلا بعد اطلاع واسع وتتبع، ويتضح هذا التتبع لمجمع البحرين في كتابه الفقهي (الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة)؛ حيث استشهد بـ (مجمع البحرين) كثيراً في تحديد الدلالات اللغوية، التي تصل إلى العشرات في حدود تتبّعنا.

ويتضح هذا النقد بشكل أكبر من خلال هذه الأمثلة:

- قوله في مادة (عشق): «في الحديث ذكر العشق، وهو تجاوز الحد في المحبة. يُقال: عَشِقَ عَشَقًا، من باب تَعَبَ والاسم العِشْقُ بالكسر. ويُقال: عَشِقَهُ عِشْقًا مثل: عَلِمَهُ عِلْمًا»^(٢)، فلم يحد لنا الاستعمال في الحديث وهذا أمر يخل بمطلوبه؛ فقد اكتفى الطريحي بالإشارة إلى ذكر العشق في الحديث، ولو أنه أتى بمثال بدل الاستطراد في هذه المادة - الذي بيناه سابقاً - لكان أجدي، ومن الاستعمال الوارد في حديث الإمامية:

١. ما روي في الحديث: «أفضل الناس من عشق العباد فعانقها وأحبها بقلبه، وبارها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر؟»^(٣) وهو مروى عن الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. وفي الحديث: «عن محمد بن سنان، عن المفضل، قال: سألت أبا عبد

(١) لؤلؤة البحرين: ٦٦.

(٢) مجمع البحرين: ٥ / ٢١٤.

(٣) الكافي: تحقيق: ٢ / ٨٣، ر ٣.

الله [الصادق] عليه السلام عن العشق، قال: قلوب خلت من ذكر الله، فأذاقها الله حبَّ غيره»^(١).

- قوله في مادّة (فقع): «والفُقَاعُ كُرْمَان: شيء يُشْرَبُ يُتَّخَذُ مِنْ مَاءِ الشَّعِيرِ فقط، وليس بمسكّرٍ ولكن ورد النهي عنه، قيل: سُمِّيَ فُقَاعًا لِمَا يَرْتَفِعُ فِي رَأْسِهِ مِنَ الزَّبَدِ»^(٢)، فالملاحظ أنَّ الطريحي لم يذكر استعمال الفُقَاعِ في حديث الإمامية، ومثال ذلك:

ما في الحديث الذي رواه أبو جميل البصري: «كُنْتُ مَعَ يُونُسَ بِنِ عَبْدِادَ وَأَنَا أَمْشِي مَعَهُ فِي السُّوقِ فَفَتَحَ صَاحِبُ الْفُقَاعِ فُقَاعَهُ فَفَقَزَ فَأَصَابَ ثَوْبَ يُونُسَ، فَرَأَيْتُهُ قَدِ اغْتَمَّ بِدَلِيكَ حَتَّى زَالَتِ الشَّمْسُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَلَا تُصَلِّي؟ قَالَ: فَقَالَ: لَيْسَ أُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى الْبَيْتِ وَأَغْسِلَ هَذَا الْخَمْرَ مِنْ ثَوْبِي، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا رَأْيِي رَأَيْتَهُ أَوْ شَيْءٌ تَرَوِيهِ؟ فَقَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْفُقَاعِ، فَقَالَ: لَا تَشْرَبْهُ؛ فَإِنَّهُ خَمْرٌ مَجْهُولٌ، فَإِذَا أَصَابَ ثَوْبَكَ فَاغْسِلْهُ»^(٣).

٢. الإيجاز المخلّ:

وهو ملمحٌ مهمٌّ أشار إليه بعض الباحثين؛ فقد اعتمد الطريحي في نقل نصوص الأحاديث على الإيجاز بشكلٍ كبير، مما أدى إلى الإخلال بالمعنى في مواضع غير قليلة، ومن أمثلة ذلك:

١. قوله في مادّة (أله): «في حديث البيت الحرام: (ويألهون إليه)، أي: يشتاقون إلى وروده كما تشتااق الحمام الساكن به إليه عند خروجه»^(٤)، فقد ذكر الحديث مبتورًا وذكر تكملته في شرحه، وتمام الحديث كما في نهج البلاغة

(١) الأماي: ٧٦٥، ١٠٢٩.

(٢) مجمع البحرين: ٤ / ٣٧٦.

(٣) الكافي: ٣ / ٤٠٧، ١٥٨.

(٤) مجمع البحرين: ٦ / ٣٤٠.

(ويألهون إليه ولوه الحمام)^(١)، وبهذا الاختصار ضيِّع على نفسه استعمال (أله) بصيغة الفعل وصيغة المصدر.

٢. قوله في مادة (حفش): «والحِفْش الذي في الحديث هو البيت الصغير»^(٢)، ولم يأت بالحديث، ولم يوضِّح المعنى أكثر، فلا ندرى أيَّ حِفْشٍ هذا، وجاء في تاج العروس إيضاح المعنى وذكر الاستعمال في الحديث، قال الزبيدي: «الحِفْشُ: الْبَيْتُ الصَّغِيرُ جِدًّا، وَهُوَ الْقَرِيبُ السَّمْكِ مِنَ الْأَرْضِ، سُمِّيَ بِهِ لِضَيْقِهِ، وَيُرْوَى أَيْضًا بِالْفَتْحِ وَالتَّحْرِيكِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ الْمُعْتَدَّةِ: دَخَلْتُ حِفْشًا، وَلَبَسْتُ شَرًّا ثِيَابَهَا، وَبِهِ فَسَّرَ أَبُو عُبَيْدٍ الْحِفْشَ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ، قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ. قُلْتُ: وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ سَاعِيًّا فَقَدِمَ بِمَالٍ فَقَالَ: أَمَّا كَذَا وَكَذَا فَهُوَ مِنَ الصَّدَقَاتِ، وَأَمَّا كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ مِمَّا أُهْدِيَ إِلَيَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلَّا جَلَسَ فِي حِفْشِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ هَلْ يَهْدِي لَه، وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّتْبِيَّةِ»^(٣).

٣. قوله في مادة (خطر): «وفي الحديث: (ليس للمرأة خَطَرٌ)، أي: شرف، (ولا لصالحتهنَّ، أمَّا لصالحتهنَّ فليس خطرهما إلَّا الذهب والفضة)»^(٤)، والملاحظ أنَّ الاختصار في الحديث ضيِّع معناه، والحديث بطوله هكذا: «لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ خَطَرٌ وَلَا لِصَالِحَتِهِنَّ وَلَا لِطَالِحَتِهِنَّ، وَأَمَّا صَالِحَتُهُنَّ فَلَيْسَ خَطَرُهَا الدَّهَبَ وَالْفِضَّةَ؛ بَلْ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَمَّا طَالِحَتُهُنَّ فَلَيْسَ التُّرَابُ خَطَرُهَا بَلِ التُّرَابُ خَيْرٌ مِنْهَا»^(٥)، فيكون المعنى المثلَّ والعوض، وليس بمعنى الشرف وإن قرب منه، ومنه الحديث: «ألا هل مشمِّرٌ للجنة؟ فإنَّ الجنة لا خطر لها»^(٦)، أي: لا

(١) نهج البلاغة: الشريف الرضي: ٢٧ / ١.

(٢) مجمع البحرين: ١٣٤ / ٤.

(٣) تاج العروس: ٩٤ / ٩، مادة (حفش).

(٤) مجمع البحرين: ٢٩٠ / ٣.

(٥) الكافي: ٣٣٢ / ٥، ١.

(٦) صحيح ابن حبان: ابن حبان: ٣٨٩ / ١٦، ٧٣٨٠.

عوض لها.

٤. قوله في مادّة (ذنب): «في الحديث: (لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ)»^(١)، وقد اختصره الطريحي، وهو باللفظ نفسه عن (كنز العمال)^(٢) و(المعجم الكبير)^(٣)؛ ورُوي بلفظٍ أوسع؛ فقد رواه الكليني في (الكافي) بهذا اللفظ: «وَلَوْلَا أَنْكُمْ تُذْنِبُونَ فَتَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا حَتَّى يُذْنِبُوا ثُمَّ يَسْتَغْفِرُوا اللَّهُ فَيَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»^(٤)، وفي صحيح مسلم: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَوَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٥)، والفرق بين النص وما أوجزه المصنّف ظاهر.

٣. التصحيف والتحريف:

كثُر التصحيف والتحريف في (مجمع البحرين)، فأتى باللفظ على غير صورته بسبب التصحيف أو التحريف، ومن هذا اللون:

١. قوله في مادّة (حنز): «نقل عن أبي ذر: (لو صليتم حتى تكونوا كالحنايز)»^(٦)، وهذا تصحيف؛ وصوابه: (الحنائير) بالراء المهملة، فحقه أن يكون في مادّة (حزر) لا (حنز)، قال ابن منظور: «وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: لَوْ صَلَّىتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَائِرِ مَا نَفَعَكُمْ ذَلِكَ حَتَّى تُحِبُّوا آلَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هِيَ جَمْعُ حَنِيرَةٍ، وَهِيَ الْقَوْسُ بِلَا وَتَرٍ، وَقِيلَ: الطَّائِيُّ الْمَعْقُودُ، وَكُلُّ مَنْحَنِ، فَهِيَ حَنِيرَةٌ، أَي لَوْ تَعَبَّدْتُمْ حَتَّى تَنْحَنِي ظَهْرُكُمْ»^(٧).

(١) مجمع البحرين: ٦٠/٢.

(٢) ينظر كنز العمال: المثقي الهندي: ٢١٦ / ٤، ١٠٢٢٣.

(٣) ينظر المعجم الكبير: الطبراني: ١٥٦ / ٤.

(٤) الكافي: ٤٢٤ / ٢، ١.

(٥) الجامع الصحيح (صحيح مسلم): مسلم النيسابوري: ٢١٠٦ / ٤، ٢٧٤٩.

(٦) مجمع البحرين: ١٦ / ٤.

(٧) لسان العرب: ٢١٦ / ٤.

٢. قوله في مادة (رخا): «ومنه: (راخ الإخوانَ في الله) بالخاء المعجمة من المراهاة وهي ضدُّ التشدّد»^(١)، ولعلَّ الصَّواب كما في الحديث في وصية أمير المؤمنين عليه السلام: «واخ الإخوانَ في الله، وأحبَّ الصالحَ لصلاحه»^(٢) بالواو لا بالراء من المواخاة، ومحلُّه (أخا).

٣. قوله في مادة (سوس): «والسُّوس: نبات يشبه الرياحين، عريض الورق، وليس له رائحة كالرياحين. قال في (المصباح): والعامَّة تضمُّ الأوَّل»^(٣)، والذي في المصباح أنَّ هذا تعريف للسوسن لا للسوس^(٤)، ومحلُّه الصحيح (سوسن) وليس (سوس).

٤. قوله في مادة (سنخ): «السَّنخُ - بالكسر - من كُلِّ شيءٍ أصلُه، والجمعُ أسناح»^(٥)، والصواب: السَّنخ بالخاء، ومحلُّها (سنخ).

٥. قوله في مادة (صحح): «وفي حديث الاستسقاء: (غيثًا صحصاحًا) كأنَّه أراد مستويًا متساويًا»^(٦)، وهو تصحيف وتفسيره في غير موضعه، وصوابه بالسين: (سَحْصَاحًا)؛ أي: شديد السيل، أو دائم الصبِّ، من شدة السُّح، وهو مروِّي في خطبة الحسين عليه السلام في الاستسقاء: «سَحًّا سَحْصَاحًا، بَسًّا بَسَّاسًا»^(٧).

٦. قوله في مادة (لبخ): «(في الحديث: (مَنْ بَاتَ وَفِي جَوْفِهِ سَبْعُ وِرْقَاتٍ مِنَ الهنْدبَاءِ أَمِنَ مِنْ لَبْخٍ لَيْلَتِهِ) أي: من مكروهها»^(٨)، والذي في الحديث: (أمن من القولنج ليلته)^(٩)، فحرقت الكلمة إلى معنى قريب.

(١) مجمع البحرين: ١ / ١٨٠.

(٢) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي: ٧١ / ٢٧٥.

(٣) مجمع البحرين: ٤ / ٧٨.

(٤) ينظر المصباح المنير: الفيومي: ١ / ٢٩٥.

(٥) مجمع البحرين: ٢ / ٣٧٥.

(٦) مجمع البحرين: ٢ / ٣٨٤.

(٧) من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق: ١ / ٥٣٨.

(٨) مجمع البحرين: ٢ / ٤٤١.

(٩) الكافي، ٦ / ٣٦٢، ١.

٧. وقوله في مادة (نجق): «وفي الخبر: (نهى عن النجقاء في الأضاحي) قال ابن الأعرابي: النَّجَقُ أن يذهب البصر والعين مفتوحة»^(١)، والصحيح أن تكون في مادة (بخق)، والذي في الخبر الذي أورده ابن الأثير النهي (عَنِ الْبَخْقَاءِ فِي الْأَضَاحِي)^(٢)؛ و(نجق) مادة مهملة.

٨. قوله في مادة (كظا): «ومنه الخبر: (أتى النبيُّ صلى الله عليه وآله كِظَاءَ قَوْمٍ بِالطَّائِفِ، فَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى قَدَمَيْهِ)»^(٣)، والصواب: (أتى كِظَامَةً قَوْمٍ فَتَوَضَّأَ)^(٤).

٩. قوله في مادة (هرث): «في الحديث: (كان أمير المؤمنين عليه السلام يستاك عَرَضًا، ويأكل هرثًا)^(٥)، فجعله بالثاء المثناة خطأً، وصوابه بالتاء المثناة^(٦)، فيكون في مادة (هرت) التي وضعها في محلها، ولم يذكر فيها الحديث، ثم فسّر (الهرث) بمعنى (الهرت) ذي التاء المثناة، والمراد من الهرت هو اللحم الناضج؛ فيقال: لحمٌ مُهَرَّتٌ ومُهرَّدٌ إذا نَضِجَ^(٧)، وعليه يحمل الحديث بأنه عليه السلام يأكل الناضج من الأكل.

٤. ضبط الأعلام والتراجم:

أحصي على الطريحي الكثير من الأخطاء في ضبط الأعلام والتراجم، ننقل منها:

١. قوله في مادة (حلا) في ترجمته لمدينة حُلوان - منطقة في العراق -، قال: «سُمِّيَتْ بِاسْمِ بَنِيهَا، وَهُوَ حُلَوَانُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قِصَاعَةَ»^(٨)،

(١) مجمع البحرين: ٢٣٨ / ٥.

(٢) النهاية، ١٠٣ / ١.

(٣) مجمع البحرين: ٣٥٩ / ١.

(٤) أساس البلاغة: الزمخشري: ١٣٧ / ٢.

(٥) مجمع البحرين: ٢٦٩ / ٢.

(٦) الكافي: ٢٩٧ / ٥، ر.

(٧) ينظر لسان العرب: ١٠٤ / ٢، مادة (هرت).

(٨) مجمع البحرين: ١٠٧ / ١.

والصحيح: حلوان بن عمران بن الحاف، مشتق من الحفى محذوف الياء، وهو المتفق عليه في أغلب المصادر^(١).

٢. قوله في مادة (ديك) عندما ذكر (ديك الجن): «لقب محمد بن عبد السلام الحطبي، الشاعر المشهور من شعراء الدولة العباسية»^(٢)، وهذا غير صواب، فالصواب هو (الحمصي) نسبة إلى حمص التي ولد فيها وتوفي^(٣).

٣. قوله في مادة (زبر): «والزبير في التصغير ابن العوام، وهو أخو عبد الله أبو النبي ﷺ، وأخو أبي طالب أبو علي ﷺ لأبيهما وأمهما، والزبير نسبة إليه، والدته صفية بنت عبد المطلب»^(٤)، وفي هذا غلط عجيب، وخطأ رهيب، فقد وقع الاشتباه بين شخصيتين باسم الزبير، الأول الزبير بن عبد المطلب، والثاني ابن العوام، فجعل الطريحي الأول ثانيًا، ثم إنّه من الخطأ أن نقول: (وهو أخو عبد الله أبو النبي)؛ وصوابه: (أبي النبي)، و(أبو علي) صوابه: (أبي علي)، ثم إنَّ المحقق السيّد أحمد الحسيني زاد ذلك فقد ذكر بعض أحوال الزبير بن العوام نقلًا عن الإصابة لابن حجر، دون أن ينبّه على هذا الخلط!

٤. قوله في مادة (خزر): «الخيزران: جارية الخليفة، أم المهدي بالله العباسي»^(٥)، والصواب: الخيزران هي جارية المهدي العباسي، أعتقها فتزوجها فولدت له ابنه الهادي وهارون الرشيد، فهي ليست أمّه؛ بل زوجته^(٦).

٥. وفي مادة (حمد) ترجم للإمام الباقر ﷺ فقال: «وأمّه كانت بنت عبد الله بن الحسن بن علي ﷺ»^(٧)، والصواب: أمّه فاطمة أم عبد الله بنت الحسن

(١) ينظر: المصباح المنير: ١/ ١٤٩، وتاج العروس: ٣٧/ ٤٦٦، ومعجم البلدان: ٢/ ٢٩٠.

(٢) مجمع البحرين: ٥/ ٢٦٨.

(٣) ينظر الوافي بالوفيات: الصفدي: ١٨/ ٢٥٧.

(٤) مجمع البحرين: ٣/ ٣١٤-٣١٥.

(٥) مجمع البحرين: ٣/ ٢٨٥.

(٦) ينظر: النجوم الزاهرة: ابن تغري بردي: ٢/ ٧٢.

(٧) مجمع البحرين: ٣/ ٤٠.

بن علي عليه السلام، كما هو في أغلب المصادر^(١) التي ترجمت له عليه السلام.

٥. أخطاء في الاشتقاق والتصريف: منها:

١. في مادة (عضب) قال: «والأعْضَبُ من الرُّجَال: الرِّمَن الذي لا حراك فيه، كأنَّ الرِّمَانَ عضبه ومنعه الحركة»^(٢)، والصواب أن يقال: المعضوب من الرجال، وكأنَّ الزمان لا الرِّمَانَ، والمعضوب من الرُّجَال هو الضعيف فيقال: عضبته الرِّمَانَة تَعْضِبُهُ عَضْبًا، إذا أقعدته عن الحركة وأزمنتَه، أمَّا الأعْضَبُ من الرُّجَال فهو الذي لا ناصر له^(٣).

٢. في مادة (صلت) قال: «في صفته عليه السلام: (كان أصلت الجبين)، أي واسعه، وقيل: الأصلت الأملس، وقيل: البارز، ويقال: سيف أصلت: صقيل»^(٤)، والصواب: كان صلت الجبين، أي واسع الجبين أبيضه، وسيفٌ صلتٌ وإصليت أي صقيل، فإن أردت الفعل قلت: أصلت فلانٌ سيفه إذا جرّده من غمده^(٥).

٣. في مادة (حكك) قال: «يقال: ما يحيك كلامك في فلان، أي: ما يؤثّر»^(٦)، وصوابه أن يكون في مادة (حيك).

٤. في (شغف) قال: «الشغاف ككتاب»^(٧)، والصواب: الشَّغَافُ بالفتح لا بالكسر، وهو غلاف القلب، يقال: الحبُّ يشغفه شَغْفًا وشَغْفًا إذا وصل إلى شَغَاف قلبه^(٨).

(١) ينظر الإرشاد: الشيخ المفيد: ٢ / ١٥٥.

(٢) مجمع البحرين: تحقيق: السيّد أحمد الحسيني: ٢ / ١٢٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١ / ٦٠٩، مادة (عضب).

(٤) مجمع البحرين: تحقيق: السيّد أحمد الحسيني: ٢ / ٢٠٨.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٢ / ٥٣، مادة (صلت).

(٦) مجمع البحرين: تحقيق: السيّد أحمد الحسيني: ٥ / ٢٦٢.

(٧) مجمع البحرين: تحقيق: السيّد أحمد الحسيني: ٥ / ٧٦.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٩ / ١٧٩، مادة (شغف).

٥. أحدث مادة سَمَّاهَا (مثم) واشتق منها اسم (ميثم)^(١)، والصواب أن (ميثم) أصله من (وئثم)، ولم تعرف اللغة مادة (مثم).

هذه جملة من المآخذ التي سُجِّلت على الطريحي في (مجمع البحرين)، ولا نعلم أكان للنسّاخ دور في أكثرها أم لا؟ وإن كان الطريحي قد شاب عمله القصور فهذا من الطبيعي أن يحصل، لا سيّما وأتته عمل فردي كُتِبَ على وجه السرعة في ظرف سفرٍ كما هو واضح من مقدمة الكتاب، وليعلم أن أكثر هذه المآخذ التي لاحظها المحقّقون في مؤسسة البعثة تداركوها في طبعتهم للكتاب، ثمَّ إنَّ (مجمع البحرين) يشكّل البداية لهذا اللون من التصنيف في الدائرة الإمامية، أملاً أن يعقبه مشروع بضامته في الوسط الإمامي.

(١) مجمع البحرين: تحقيق: السيّد أحمد الحسيني: ١٧٢ / ٦.

النتائج:

من خلال المبحوث كلّ نستنتج الآتي:

١. تعرّفنا على شخصيّة الشيخ الطريحيّ؛ فهو فقيه من فقهاء المدرسة الإماميّة، وشاعر ولغويّ جليل القدر، وإضافة إلى ذلك كلّ هو محدّث.
٢. لم يكن الطريحيّ فريد أسرته في الشأن الأدبيّ واللغويّ؛ فكانت لهذه الأسرة إسهامات ثقافيّة، فقد خرّجت الشعراء والأدباء، وكانت تعقد ملتقى أدبيّاً يرتاده المهتمّون.
٣. لم تبحث شخصية الطريحيّ اللغويّة إلا قليلاً؛ ومنها هذه الدراسة التي حاولت تقديم صورة لجهد الطريحيّ اللغويّ بصورة واقعية، إضافة إلى الدراسات السابقة.
٤. لم نر دراسةً علميّة تستوعب شعر الطريحيّ؛ فالدراسات التي اهتمّت به لم تقدّم لنا وصفاً لشاعرية الطريحيّ، ومدى استعماله للغّة، ورسمه للصورة الشعريّة، ومعجمه الشعريّ.
٥. لم يكن (مجمع البحرين) العمل المعجميّ الوحيد للطريحيّ، فقد سبقته أربعة أعمالٍ؛ منها: حاشية على الصحاح، ومنها: في غريب القرآن، ومنها عقده لغريب أحاديث الإماميّة.
٦. ابتدأ التدوين في كتب غريب الحديث متأخراً عن كتب غريب القرآن، وشكّلت هذه المجموع لكتب غريب القرآن وغريب الحديث النواة الأساسيّة للمعاجم العربيّة، مما يبنك بالتأثير الذي تركته هذه الكتب على المعاجم العربيّة.
٧. هدف الطريحيّ من كتابه إيضاح الأحاديث الواردة عن الإماميّة، فهو يتتبع غريب المفردات فيها، إضافة إلى ما في غريب القرآن، والإشارات اللغويّة.
٨. أراد الطريحيّ لكتابه الموقعيّة الوسطيّة؛ فهو كتاب يقع بين المعاجم العربيّة وكتب الغريب في المنزلة الوسطى.

٩. تأثر الطريحي بمنهج الصحاح للجوهري؛ فرتب المواد وفق ترتيبه، إلا أنه غير في المسميات، ولم يلتزم بمنهج الجوهري تمام الالتزام.
١٠. تعددت مصادر الطريحي إلى كتب عديدة؛ منها في اللغة كالصحاح، ومنها في الغريب كالمصباح المنير والنهاية.
١١. اهتم الطريحي بالنص القرآني وبالحدِيث الشريف وبالِداء، وكان استشهاده بالشعر قليلاً نسبةً إلى غيره.
١٢. كثيراً ما يبدأ الطريحي مادته المعجمية بذكر الاستعمال القرآني ثم الحدِيث الشريف ثم الدعاء ذاكراً المعاني اللغوية في البين.
١٣. اهتم الطريحي بالضبط اللفظي للكلمة؛ فركز على النطق الصحيح فيها، كما اهتم بأصل الكلمة من كونها عربيّة أم لا، وبيان المعلومات الأساسية من ناحية التصريف.
١٤. تضافرت الجهود العلمية عند الطريحي في كتابه (مجمع البحرين)؛ لاسيما في حقول: (اللغة والحدِيث والفقه) فلمسنا تلك الآثار من موسوعيته.
١٥. تنوعت المظاهر الصرفية والنحوية؛ فمن الصرفية أنه نبّه على صيغ المبالغة والتصغير والأوزان وأبنية الفعل إلى آخره، ومن المظاهر النحوية أن نبّه على واو الثمانية وجواز دخول (أل) على (بعض) أو (كل)، وفسر معاني الحروف وغيرها.
١٦. أخذت عدّة ماخذ على الطريحي؛ منها عدم استيفائه المطلوب، فقد أهمل ذكر أحاديث عند الإمامية فكان ذلك ناقصاً لغرضه، وإيجازه الذي أحل بالمادة المعجمية، والتصحيف والتحريف الذي اعترى المادة المعجمية، وعدم الدقة في ضبطه للأعلام و التراجع، ما أوقعه في الاشتباه في مطالب علمية لا تخفى على أي عالم، وأخطأه في الاشتقاق والتصريف، والاضطراب في المعاني؛ كل تلك المآخذ أخذت بعين الاعتبار، واكتفى من اطلع على الكتاب من العلماء أن قال: إنه لم يستوف مطلوبه.

المصادر والمراجع

١. الإرشاد: الشيخ المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م
٢. أساس البلاغة: الرّمخسريّ، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٣. إعراب القرآن الكريم: أبو جعفر النخّاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.
٤. أعيان الشيعة: محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د. ت.
٥. الأمالي: الشيخ الصّدوق، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
٦. أمل الآمل: الحرّ العامليّ، تحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، دار الكتاب الإسلامي، قم، ط١، ١٣٦٢هـ.ش.
٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: محمّد باقر المجلسيّ، تحقيق: السيّد إبراهيم الميانجيّ، ومحمّد الباقر البهوديّ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م
٨. البحث اللغويّ: محمود فهمي حجازي، دار غريب، القاهرة، ٢٠١٤م.
٩. تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيديّ: تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
١٠. تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح): إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
١١. تفسير غريب القرآن: فخر الدّين الطّريحي، تحقيق: محمّد كاظم الطّريحيّ، انتشارات زهدي، قم، د. ت.
١٢. الجامع الصحيح (صحيح مسلم): مسلم النيسابوريّ، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د. ت.
١٣. خاتمة المستدرک: الميرزا حسين النوري الطبرسيّ، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٥هـ.
١٤. الخطابي وغريب الحديث: عبد العاطي محمّد شلبي، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
١٥. الدليل إلى المتون العلميّة: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م.
١٦. الدريعة إلى تصانيف الشيعة: الآغا بزرك الطهرانيّ، دار الأضواء، ط٢، بيروت.

١٧. روضات الجنّات: الخوانساري: ، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، مكتبة إسماعيليان، طهران، د.ت.
١٨. صحيح ابن حَبَّان: ابن حَبَّان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
١٩. طبقات أعلام الشيعة: الآغا بزرگ الطهراني، دار إحياء التراث، ط١، بيروت.
٢٠. غريب الحديث: أبو إسحاق الحرّبي، دار المدني، جدّة ط١، ١٩٨٥م.
٢١. غريب الحديث: أبو سليمان الخطّابي: تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٢م.
٢٢. الغريبين في القرآن والحديث: أبو عبيد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٩م.
٢٣. في اللغة والأدب دراسات وبحوث: محمود الطناحي، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٤. الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر غفّاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٤، ١٣٦٥هـ.ش.
٢٥. كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن عليّ التهانوي، تحقيق: د. علي درحوج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٢٦. كنز العمال: المتّقّي الهندي، تحقيق: الشيخ بكرى حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٧. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٢٨. لؤلؤة البحرين: الشيخ يوسف البحراني، تحقيق: السيّد محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) للطباعة والنشر، قم المقدّسة، ط٢، د.ت.
٢٩. ماضي النجف وحاضرها: جعفر آل محبوبه، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٣٠. مجمع البحرين ومطلع النيرين: فخرُ الدّين الطُّريحيّ، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، انتشارات مرتضوي، طهران، ط٢، ١٣٦٢هـ.
٣١. مجمع البحرين ومطلع النيرين: فخرُ الدّين الطُّريحيّ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
٣٢. مدخل إلى علم اللغة: محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة، القاهرة، د.ت.
٣٣. المصباح المنير: الفيومي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
٣٤. مصفّى المقال في أحوال الرّجال: الآغا بزرگ الطهراني، دار العلوم، ط١، بيروت.
٣٥. معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
٣٦. المعجم العربيّ نشأته وتطوره: حسين نصّار، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط٤، ١٩٨٨م.
٣٧. معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربيّة في القاهرة، مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، ١٩٨٨م.

٣٨. المعجم الكبير: الطبرانيّ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
٣٩. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس الرازيّ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
٤٠. مقدّمة تحقيق (مجلد اللغة) لابن فارس: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٤١. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، تحقيق: عليّ أكبر غفّاريّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط٢، د.ت.
٤٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي: طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، القاهرة، د.ت.
٤٣. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
٤٤. نهج البلاغة: الشريف الرضيّ: تحقيق وشرح: الشيخ محمّد عبده، دار الذخائر، قم المقدّسة، ط١، ١٤١٢هـ.
٤٥. الوافي بالوفيات: الصفيّ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

المجلّات والدوريات:

٤٦. أثر كتب غريب الحديث في تأليف المعاجم اللغويّة العربيّة: محمود مبارك عبيدات، وحسين مصطفى غوانمة، مجلة دراسات - العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، الأردن، المجلّد ٤١/ العدد ٣ / سنة ٢٠١٤م.
٤٧. صناعة المعجم العربيّ بين المنهج والمستعمل، قراء في مجمع البحرين لفخر الدين الطريحيّ: خالد الشناويّ، مجلة كلية الآداب التابعة لجامعة البصرة، العراق، العدد ٦٩/ سنة ٢٠١٤م.
٤٨. قراءة معجميّة في كتاب مجمع البحرين ومطلع النيرين: شهيد راضي حسين وخالد نعيم شناوة، مجلة دراسات إسلاميّة معاصرة، العراق، العدد ٢/ سنة ٢٠١٠م.

المواقع الإلكترونيّة:

٤٩. الدراسة المعجميّة، الأسس والتقاطعات: مكواري نور الدين، مقال نُشر على شبكة الألوكة الثقافيّة، بتاريخ: ١٢ / أبريل / ٢٠١٦م، تاريخ زيارة الموقع: ١٩ / ١١ / ٢٠١٧م.

PRINT ISSN : 2521 - 4586

Al-Khizannah

*A Half Annual Scientific
Journal which is Concerned
with Manuscripts Heritage
and Documents*

*Issued by
The Heritage Revival Centre
The Manuscripts House of
Al- Abbas Holy Shrine*

*Issue No. Five and Six, Third Year,
Muharram, 1441 A.H / October 2019*

for contact:

*mob: 00964 7813004363
00964 7602207013*

web: kh.hrc.iq

email: kh@hrc.iq